الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة غرداية

كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية

قسم علم الاجتماع والديموغرافيا

مطبوعة محاضرات في مادة:

منهجية وتقنيات البحث

(2+1)

موجهة لطلبة السنة الأولى ماستر علم اجتماع التنظيم والعمل

من إعداد:

د.عكوشي عبد القادر

أستاذ محاضر قسم "أ"

كلية العلوم الاجتماعية و الإنسانية

جامعة غرداية

الموسم الدراسي 2023/2022

السداسي: الأول

إسم الوحدة: وحدة التعليم المنهجية

إسم المادة: منهجية وتقنيات البحث 1

الرصيد: 4

المعامل: 3

الأهداف:

أهداف التعليم:

. تدعيم معرفة الطالب بمنهجية البحث السوسيولوجي نظريا وعمليا،

. تعريف الطالب بأهم الإشكالات، والإشكاليات الابستمولوجية والمنهجية التي قد تواجهه أثناء إجراء البحث، وفي كل مرحلة من مراحله. هذا ما يتطلب اطلاعه على أهمها، وإشراكه في التعريف بها ونقدها من خلال توسيع مناقشتها نظريا وتطبيقيا، وإثارة الأسئلة بشأنها خاصة من خلال تناول أعمال سابقة بالمناقشة والتقويم وإبراز إيجابياتها وسلبياتها المنهجية واقتراح البديل الممكن،

. تدريب الطالب عمليا، من خلال أمثلة تطبيقية، على أهم خطوات إعداد بحث ميداني وتنفيذه بدءا من اختيار الموضوع وبناء الإشكالية إلى جمع المعطيات الميدانية وتحليلها وصياغة الاستنتاجات.

. ربط منهجية البحث السوسيولوجي هذه بتخصص علم اجتماع التنظيم والعمل، ويكون ذلك من خلال أمثلة متخصصة، تعريف ومناقشة خصوصية ذلك، ومحاولة تكييف ذلك منهجيا بما يتناسب وطبيعة التخصص وموضوعاته.

المعارف المسبقة المطلوبة:

. أن يكون لدى الطالب معرفة منهجية نظرية سابقة، بمستوى مناسب لمستواه الدراسي، بموضوع البحث العلمي بشكل عام والبحث السوسيولوجي بشكل خاص، من حيث مضمونه وخصائصه..،

. أن يكون لدى الطالب معارف نظرية وعملية أساسية حول أهم خطوات إعداد البحث العلمي وتنفيذه، عناصره المهمة..

طريقة التقييم:

.امتحان كتابي حول برنامج المحاضرة+

. مراقبة مستمرة

المحور الأول: أسس اختيار موضوع بحث سوسيولوجي

مدخل عام: البحث السوسيولوجي

الهيكل العام لعملية البحث:

- سؤال الانطلاق
- الإشكالية
- الفرضيات
- المفاهيم والمتغيرات..

المحاضرة الأولى: مدخل عام..البحث السوسيولوجي

تمهيد:

ظهرت في سبيل تطوير البحث العلمي مجموعة من الجهود والأعمال التي أسهمت، فرديا وجماعيا ومؤسسيا، في تطوير منهجه ومنهجيته بشكل عام. هناك إذن تاريخا كاملا من التطور الفكري والفلسفي المعرفي خاصة القرنين التاسع عشر والعشرين الماضيين، نخص هنا بالذكر العلوم الإنسانية والاجتماعية بشكل عام وعلم الاجتماع بشكل خاص، أوجدت قاعدة منهجية صلبة ومرنة في نفس الوقت ساعدت على تطور هذه العلوم منهجيا ونظريا بما فسح المجال لتطور انتاجاتها وتطور الطلب على ذلك في مناحي مجتمعية ومعرفية متعددة.

- مجتمعيا: وهذا ما ترافق مع الحاجة الشديدة للابتكار والإنتاج الصناعي خاصة والزراعي وغيرهما من شؤون الحياة..، ونلمس فضائل ذلك اليوم على مستويات مختلفة: التكنولوجيا، الطب، الصناعة، التنظيم..،
- معرفيا: تطور العلوم وبروزها المثالي كحل من الحلول للشأن المجتمعي الحديث والمعاصر، وكعنصر بحث وتطور معرفي ومجتمعي، هذا ما يتصل بشكل وثيق بالتطوير الدائم لأدواتها المعرفية النظرية والمنهجية بشكل عام. وهنا يعتبر البحث العلمي الأساس الذي يقوم عليه كل هذا، الأمر الذي يرتب مطالبا مهمة في ذلك، تحديدا يمكن ذكر مطلب تطوير البحث، وتنظيمه ابستمولوجيا ومنهجيا وفقا لشروط ومبادئ وهيكلة مناسبة.

لكن بالنظر لطبيعة هذ العلوم وخصوصيتها المعرفية وخصوصية موضوعاتها، فإن الاتفاق على منهج محدد أو هيكلة بحثية محددة لم يكن ليتحقق إلا في ضوء مقاربات متنوعة، وبإشكاليات متطورة ومتغيرة باستمرار استجابة لهذه الخصوصية. هناك إذن هيكلية أصيلة وعامة لمسار البحث العلمي وأفعاله وعناصره متفق عليها من جهة وتتمثل في العناصر المبدئية الأساسية، لكن هناك كذلك تفصيلات متنوعة وفق كل مقاربة من جهة أخرى، لا تتعارض من

الناحية المنهجية نعم، لكنها تتضمن شروح وتصنيفات وتنظيمات متعددة ولو على مستوى عناصر محددة بعينها.

1.المفهوم والخصائص

تشير عبارة" بحث سوسيولوجي" إلى هذا العمل، التنقيب والحفر المعرفي العلمي، المبني على المساءلة والبناء والتحقيق، بما يفضي وفق مسار تراكمي إلى صياغة نتائج علمية تفيد العلم في حد ذاته بوصفها قيما معرفية مضافة، لكن كذلك المجتمع وكل من يهمه الأمر في مجال التدخل وحل مشكلات المجتمع وتطويره وتسييره..، فتبرز معالم البحث السوسيولوجي إذن، على المستوى الإجرائي، كمسار من الخطوات المختلفة، العناصر المتكاملة والمتسلسلة، والمبنية بناء علميا مناسبا على أساس من القواعد الابستمولوجية والمنهجية المحددة والصارمة، وهذا ما يحدد ما يسمى هنا بهيكل البحث. وبالنظر للطبيعة المتشابكة والمعقدة لموضوعات هذا البحث على المستوى الابستمولوجي والانطولوجي قبل ذلك، فإن دور الباحث وقيمة تدخله ونوعيتها وتميزها تكمن أساسا فيما يتميز به من صرامة منهجية نعم، لكن كذلك في الإبداع والإضافات الأصيلة والمفيدة في مجال البحث العلمي ومنهجيته.

يمكن تصور هيكلة هذا المسار الصارم، المتكامل والإبداعي كما يلي:

الشكل رقم: 01 مسار البحث السوسيولوجي

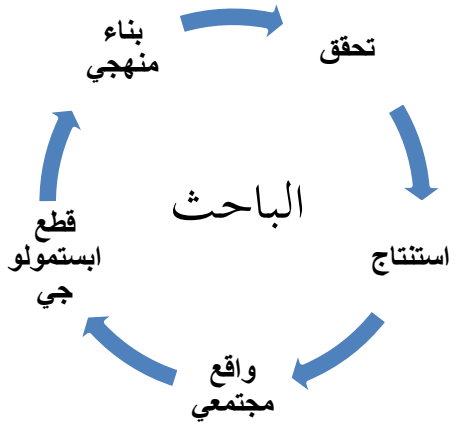

المصدر: من إنجاز الأستاذ

بالنسبة للبحث السوسيولوجي فقد تم اتباع نهج أكثر صرامة وأكثر انضباطا بالنظر لتعقيدات الوقائع المجتمعية والتعقيدات السوسيولوجية الناجمة عن ذلك. وبالاطلاع على أهم ما كتب حول موضوع البحث والمنهج السوسيولوجيين سنلاحظ هذا التعدد في الصياغات والمفاهيم والتصنيفات، على أنها تنطلق من نفس المبادئ والقواعد الابستمولوجية التأسيسية الكبرى نظرية ومنهجا على المستوى التصوري كما على المستوى العملياتي التطبيقي، وما بعض التجاوزات الابستمولوجية والالتباسات المنهجية، في هذا الاتجاه، إلا دليل على القصور المعرفي لدى الباحثين أنفسهم، أولئك الذين لم يتمكنوا من هضم المادة المعرفية السوسيولوجية بما يكفي ليلاحظوا ان الإنتاج البحثي السوسيولوجي ينبغي أن يستند فعلا إلى صرامة منهجية مسنودة بصرامة ابستمولوجية و مساءلات مستمرة ودقيقة، مع الأخذ بعين الاعتبار، وفي إطار ذلك، التحلي بقدر من المرونة المنهجية والمعرفية الناتجة عن التنبه

المنهجي والابستمولوجي مراعاة لطبيعة المجتمع والوقائع المجتمعية في تعقيدها وتغيرها الدائم ومن تطلبه من تكييف وتعديل مستمر للأدوات المنهجية.

2. باشلار، بورديو، كيفي كمبنهود: منهجية علم الاجتماع

يمكن تعريف الإسهامات المعرفية المنهجية لغاستون باشلار من خلال اهتمامه الشديد بابستمولوجية البحث العلمي، وذلك ما يمكن قراءته بوضوح في أعماله حول العقل العلمي أو الروح العلمية، العقل العلمي الجديد..، كما أن بيار بورديو في كتابه الشهير"حرفة عالم الاجتماع"..، الذي يعتبر عملا مرجعيا في مجال منهجية البحث السوسيولوجي تحديدا، قدم إسهاما جوهريا تعريفا بخصوصية هذا البحث، ونقدا لما اعتراه من تهاون وأخطاء تصورا وعملا.

على مستوى تحليلي نجد ريمون كيفي وفان لوك كمبنهود قدما عملا استثنائيا كذلك في كتابهما الشهير " دليل الباحث في العلوم الاجتماعية" الذي تم تنقيحه بشكل متكرر. تكمن استثنائية هذا العمل، فضلا عن شرح المبادئ والقواعد المنهجية البحثية..، في قدرتهما على تبسيط، تفصيل وشرح هذه القواعد والمبادئ عنصرا بعنصر وبشكل جد مبسط وواضح وعملي.

هناك الكثير من الأعمال المهمة الأخرى في هذا المجال، لكن قيمة هذه الأعمال الثلاثة تكمن في كونها أكثر عملية وأقرب لدليل عمل ومبادئ توجيهية على الأقل وفق رؤية الأستاذ هنا. نقرأ مثلا كتابا مهما تحت إدارة بونوا غوتيي في مجال البحث السوسيولوجي عنوانه:" البحث السوسيولوجي: من الإشكالية إلى جمع المعطيات"[1]، يمكننا أن نلاحظ هنا مخططا لمسار البحث يتضمن مجموعة عناصر تبدأ بالملاحظة والتنظير، لتمر

1 انظر:

Recherche sociale : de la problématique a la collecte des données, sous la direction de Benoit Gauthier, PUQ,Quebec,1984, p10

إلى عناصر تفصيلية أكثر، لكن هذا المخطط أقل وضوحا خاصة بالنسبة للباحثين المبتدئين من مخطط كيفي وكمبنهود.

على أن استعراض أعمال هؤلاء الباحثين تحديدا لا يعني التقليل من شأن الجهود والأفكار والاقتراحات المتعددة في هذا المجال، كما لا يجعل منها ذلك الأفضل على الإطلاق، فهناك الكثير من الأعمال في هذا المجال ومؤلفات في مجال منهجية البحث السوسيولوجي المتداولة والتي تتطرق للموضوع بعناصر عامة أو مفصلة بشكل مختلف. إن الإضافة المهمة التي تقدمها للمعرفة المنهجية الأعمال المذكورة لا يمكن أن تعوض بالنظر لبعض عناصر قيمتها المضافة المهمة على الأقل، خاصة على مستوى التناول الابستمولوجي، الوضوح، الدقة، التفصيل والعملياتية .

نقرأ في مقدمة كتاب:" البحث السوسيولوجي: من الإشكالية إلى جمع المعطيات" في الصفحة الثالثة عشر ما يلي:".. المبرر الكامن في تحرير دليلنا للبحث الاجتماعي هذا..، لا يعني تبريرنا لأنفسنا، وإنما إيضاح الفلسفة التي يستلهم منها والسماح بقراءة جد مهمة"[1]

1انظر في مقدمة: ريمون كيفي وفان ليك كمبنهود، **دليل الباحث في العلوم الاجتماعية**، تر: يوسف الجباعي،ط1، بيروت.

المحاضرة الثانية. منهجية البحث السوسيولوجي: الهيكلة

تحكم البحث السوسيولوجي مجموعة من المبادئ و القواعد الابستمولوجية والمنهجية التي ينبغي مراعاتها عند إجراء البحث بداية من افتكاكه، وتحديده، انتهاء بصياغة نتائجه. هذه المبادئ وهذه القواعد تحدد البحث والمسار البحثي ككل، وهنا ينبغي الإجابة عن عدد من الأسئلة المهمة في ذلك بما يسهم في توجيه البحث ابستمولوجيا، منهجيا، علميا وعمليا. وتتحدد منهجية البحث بمجموعة من الأفعال والعناصر التي يجب تحقيقها بشكل مناسب، وقد تم تنظيم كل ذلك عمليا وفق بناءات منهجية أو مسار أفعال بحثية يمكن تحديد أهمها هنا، من خلال أعمال تأسيسية كعمل غاستون باشلار مثلا، وعمل بيار بورديو، وأعمال تصنيفية تفصيلية وحتى بيداغوجية كعمل كيفي وكمبنهود.

يتم البحث السوسيولوجي وفق بناء منهجي متميز ومحدد العناصر، بالرجوع للكتابات المنهجية وأعمال المنهجيين المؤسسين، سنجد أن أعمال بعضهم تميل إلى التنظير وابستمولوجيا البحث ، أما بعضها الآخر فيميل إلى الجانب المنهجي التفصيلي الإجرائي.

1.2بناء منهجي بحثي أكثر تنظيرية وابستمولوجية

بناء مسار البحث بالنسبة لغاستون باشلار معبر عنه بالنص الموجز التالي:" الواقعة العلمية تغزى، وتبنى، وتعاين. فهي تغزى لتخلص من الأحكام المسبقة، وتبنى بالعقل، وتعاين في الواقع"[1]

يمكن ملاحظة أن عمل غاستون باشلار يمكن استيعابه من خلال كتابه:" تشكل الروح العلمية" أو" العقل العلمي" ، بحيث نجده ينطلق، في كتابه هذا، من عنوان فرعي"

1ريمون كيفي وفان لوك كمبنهود، ص29

مفهوم المعوقات الابستمولوجية" ليحدد أهمها، بشكل عام، في التجارب السابقة و المعرفة العامة.، العائق اللغوي.."[1] .

وعن الموضوعية العلمية[2]:

ويعتبر كتابه "العقل العلمي الجديد" **le nouvel esprit scientifique** مهما كذلك في مجال منهجية البحث لكونه يتناول الابستمولوجيا وتاريخ العلوم، ومسألة الحتمية، كما نجده يؤصل في هذا الكتاب لمفهوم "ثورة العلوم"*[3].

انظر كتابه هذا:

*

يسند باشلار للعقل العلمي، أو الروح العلمية، التي ستظهر كذلك في كتابه العقل العلمي الجديد، دور محاربة هذه العوائق الابستمولوجية، ويتخذ منه ضمانة لعلمية البحث وموضوعيته.

أما بالنسبة لبيار بورديو فإنه يعتبر في كتابه الشهير" حرفة عالم الاجتماع le métier de sociologue"

إن بحث موضوع سوسيولوجي معين، لواقعة مجتمعية معينة، يتشكل وفق مسار من الأفعال البحثية المتسلسلة، تبدأ من:" الواقعة تنتزع بمعاندة وهم المعرفة المباشرة" و هنا يشير بورديو إلى مسألة " المفردات الخام وتقنيات القطع" و" موهومات الشفافية ومبدأ اللاوعي" و" الطبيعة والثقافة: الجوهر ونسق العلاقات"، و" المعرفة الاجتماعية العفوية وسلطان اللغة"، و ما يسميه كذلك ب"إغواءات النبوة" وهنا يشير إلى ضرورة التخلص من التفكير الشائع أو الخضوع لسلطة المألوف والابتزاز الناشئ بفعل تحوله، أو تحويله، إلى نجم جماهيري يسدي خطابات وتوجيهات وتعليمات وحتى مواعظ بشأن ما يجب أن يكون ، أو القيام بعمل تحت

1 Gaston Bachelard, la formation de l'esprit scientifique : contribution à une psychanalyse de la connaissance, Librairie Philosophique, 1938, (1993,2004 pour l'edition de poche), France, P13.285

2 Ibid, p285.302

3 Gaston Bachelard, le nouvel esprit scientifique, 1er ed, Paris, PUF, coll. »Quadrige », 2013.

الطلب يتجاوز مهمته المحددة معرفيا، ويسيء بالتالي أيما إساءة للتفكير السوسيولوجي المتخصص والمتفرد الذي ليس من صلاحية الجميع وإنما هو مهمة عالم الاجتماع فقط. يشير بورديو هنا إذن لخضوع عالم الاجتماع لابتزاز تصنيفات وتقييمات غير المتخصصين أو عامة الناس لعمله، وكلما اقترب عالم الاجتماع من " ثرثرات الحياة اليومية" أو من "التفكير الشائع والمألوف" فقد قدرته على المساءلة والتشكيك في المعرفة المألوفة وأصبح تفكيره وتحليله شائعا وليس علميا. " النظرية والتراث النظري" وهنا يناقش بورديو سلبية الخضوع للإنتاج المعرفي السابق دونما تمحيص وتدقيق ونقد، فهو يعتبر أن التعامل مع النظرية كتراث نظري، أي بتوظيف غير نقدي وغير مفكر به، يشبه تماما وهم المعرفة المباشرة والمألوفة، لذلك ينبغي كذلك إحداث القطع اللازم بالتشكيك والتكييف، والنقد المناسب في هذا المجال، وذلك بوصف النظرية انتاجا بشريا له نسقه وتاريخه ومجتمعه...، " نظرية المعرفة الاجتماعية ونظرية النسق الاجتماعي" ويناقش هنا بورديو مسألة علاقة نظرية المعرفة بالنظرية الاجتماعية، فالأولى هي ما يحكم الثانية، وهذا بوصفها نظام قواعد يحكم نظرية الاجتماعي، فبينما تتصل مهمة الأولى بمنطق العلم ومنهجه وأصوله، فإن اختصاص نظرية الاجتماعي يتمثل في تفسير الاجتماعي وفق المبادئ والقواعد التي تحددها نظرية المعرفة هذه.

يأتي مباشرة بعد هذا العنصر البحثي القطعي المهم عنصر مهم آخر الذي هو البناء، ف:" الواقعة الاجتماعية تبنى" وهنا يتطرق بورديو إلى بناء الباحث لمقاربة إشكالية محددة بأسئلة مناسبة انطلاقا من الواقع وتقيدا بالمبادئ والقواعد المعرفية والمنهجية، ويبني موضوعه، بناء الفرضيات، حياد التقنيات، المعاينة..، وهذا ما يضع البحث موضع تنفيذ وما يمهد للانتقال لفعل التحقيق أو التثبت.

يشكل فعل:"التثبت" العنصر الأخير في مسار البحث، وهو ما يسمح باستغلال البيانات وتحليلها وتفسيرها وبالتالي صياغة الاستنتاجات الممكنة التي تمكن الباحث من الإجابة عن أسئلة إشكاليته وإبراز العلاقات الممكنة بين متغيرات بحثه، وهذا ما يسمح بمستوى من التعميم كشرط معرفي.

هذه السلسلة من الأفعال المنهجية والابستمولوجية" المترابطة والمتكاملة العناصر لخاضعة لشروط معرفية، مبادئ وقواعد هي ما يصنع ما يسمى معرفيا ببحث علمي[1].

إن مسار بحث سوسيولوجي حقيقي وعلمي قطعا وبناء وتثبتا ينبغي إذن يشكل الهاجس الذي ينبغي أن يضل مثار " تنبه" دائم، يثير حذرا وتشككا منهجيا مستمرا، هذا ما اعتبره بورديو أساس مهمة عالم الاجتماع، تلك المهمة التي ينبغي أن ينجزها منذ البداية على مستوى ما يسميه ب" القطع المنهجي" وفق شروط منهجية وابستمولوجية محددة بواسطة مبادئ وقواعد مثلى ينبغي اعتبارها نموذجا منشودا في كل بحث. ف" التفكر الأصولي المنهجي"[2] بوصف بورديو في كتابه حرفة عالم الاجتماع.

أساسه الابستمولوجيا وفلسفة العلم، و يتأسس ذلك بفعل المقارنة بدقة المنهج في العلوم الطبيعية، أي انطلاقا من المبادئ التأسيسية للمعرفة العلمية وللمنهج العلمي في العلوم التجريبية. هذا ما يمكن الباحث من الخروج من " فوضى المفاهيم"[3]

إن تحقيق قدر مشروط من الاستقلالية والنزاهة العلميتين لموضوع البحث، ولا يقصد بالاستقلالية والنزاهة هنا هو تفرد البحث واختلافه عن البحوث الأخرى، وإنما استقلاليته عن

---

1 انظر: بيار بورديو و ج.كلود باسرون و ج. س شامبوردون، حرفة عالم الاجتماع،تر: نظير جاهل، ط1، دار الحقيقة، بيروت، 1993، ص19.86

2 . المرجع نفسه، ص7

3 .المرجع نفسه، الصفحة نفسها

الأحكام المسبقة، الذاتية والمجتمعية والحس المشترك..، وتنزيهه عن كل ما يمكن أن يشوه علميته، من الأفكار والمفاهيم والممارسات البحثية التي لا تحقق مطلب الموضوعية العلمية والتناسب المعرفي، والعمق النظري والمنهجي، هو مطلب علمي ومهمة جوهرية. هذه الموضوعية، وهذا التناسب المعرفي، وهذا "التنبه الابستمولوجي المنهجي الأصولي" هو ما تترتب عنه المصداقية والموضوعية العلمية، وهو ما يحقق لهذه العلوم الإنسانية والاجتماعية بشكل عام، وعلم الاجتماع بشكل خاص، اقترابا مناسبا من مستوى الثقة والدقة المطلوبين قطعا وبناء وتحقيقا تضاهي بشكل نسبي مستوى الثقة و الدقة الذي تقاس به الأفعال البحثية والنتائج الخاصة بالعلوم التجريبية.

وان اعتبر هذا "التنبه المنهجي/الأصولي" بمفهوم بورديو، أساس إنجاز القطع الابستمولوجي، فإن مهمته لا تكتمل هنا، وإنما تستمر حتى إنجاز المهمة البحثية ككل. يشمل ذلك على مستوى تفصيلي كما في عمل كيفي و كمبنهود على مستوى سؤال الانطلاق والإشكالية كعناصر قطعية، لكن كذلك على مستوى النموذج التحليلي الذي يحدد ويحلل الفروض والمفاهيم، وعلى مستوى ما يتصل بذلك في باقي العناصر البنائية والاختبار.

2.2 بنية تفصيلية أكثر منهجية: ريمون كيفي وفان لوك كمبنهود

يقسم الباحثين عناصر منهجية البحث إلى سبعة مراحل، كل مجموعة منها متضمنة في عنصر من العناصر التي اقترحها باشلار وبورديو.

في كتابهما دليل الباحث في العلوم الاجتماعية، يحدد كيفي وكمبنهود مسار البحث في سبعة مراحل، يمكن إبرازها وفق الشكل التالي في علاقتها ببعضها وبعناصر المسار الكبرى كما نجدها لدى باشلار و بورديو.

الشكل رقم: 02: هيكل مسار البحث

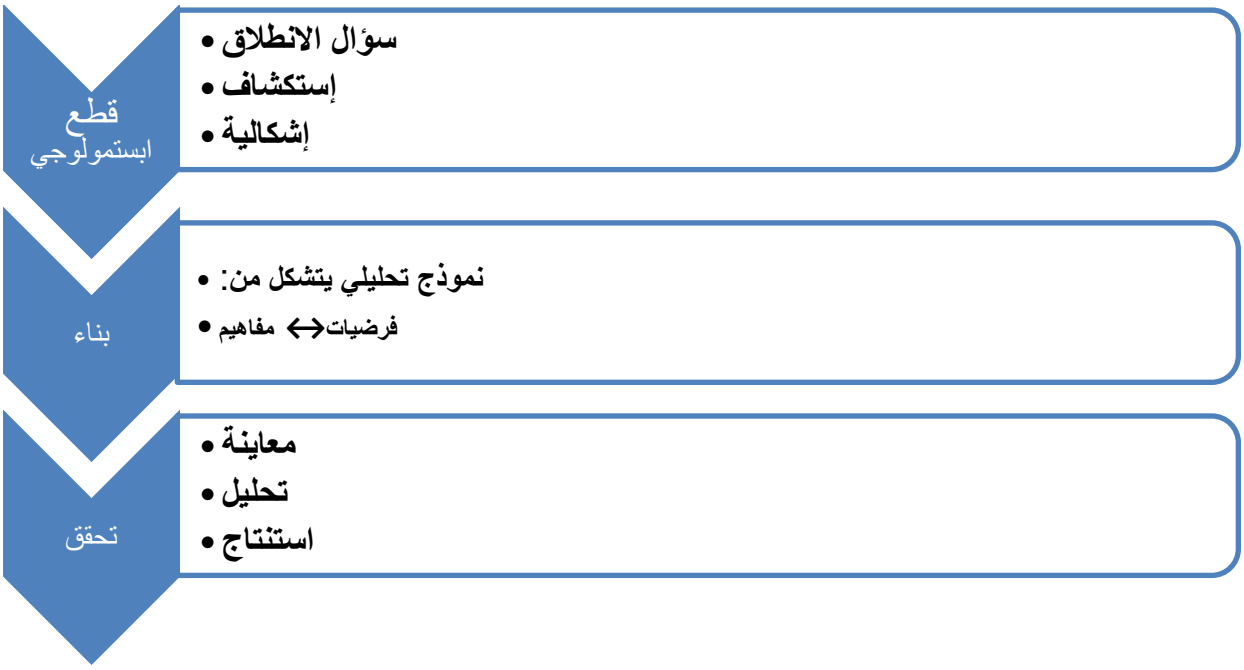

المصدر: من إنجاز الأستاذ

يبرز هذا الشكل، انطلاقا من مخطط هيكل البحث لكيفي وكمبنهود، بشكل ملخص وواضح مسار البحث السوسيولوجي انطلاقا أولا من التقسيم الابستمولوجي المنهجي الثلاثي لباشلار وبورديو، لكن كذلك من خلال مخطط سير البحث لكيفي وكمبنهود. فنلاحظ التقسيم الابستمولوجي المنهجي الثلاثي من قطع ابستمولوجي، قطع منهجي بتوصيف بورديو، وبناء وتحقق. على أن كل عنصر منهجي من هذه العناصر الثلاث يتضمن الأفعال المناسبة والتي في مجموعها تشكل ما يسمى بمسار بحث سوسيولوجي.

المحاضرة الثالثة: من سؤال الانطلاق إلى الاستنتاج: أفعال و مراحل

هناك ثلاثة أفعال بحثية (موضوع البحث: يغزى، يبنى ويحقق)، أو مراحل، تشكل أساس مسار البحث السوسيولوجي، وكل فعل من أفعال هذا المسار يقوم على عناصر تفصيلية يمكن تسميتها مراحل بحث، بالنسبة للأفعال لن يختلف الأمر عن الأفعال التي تكلم عنها باشلار وكيفي وهي القطع والبناء والتحقق، لكن على مستوى تفصيلي يظهر كل فعل من خلال عناصر أو مراحل بحثية جزئية تفصيلية. لقد قدم باشلار وبورديو هيكلا منهجيا بحثيا مشكلا من ثلاثة أفعال بحثية كبرى، وجاء مختصون وباحثون آخرون ففصلوا ذلك إلى مراحل جزئية متكاملة ،كيفي وكمبنهود وهيكل المراحل البحثية السبع مثلا.

أولا: مراحل القطع الابستمولوجي/ المنهجي

بعد العرض التنظيري الابستمولوجي/المنهجي الذي يشكل جوهر مساهمة غاستون باشلار وبيار بورديو، نجد أحد أهم الأعمال في مجال منهجية البحث العلمي الذي يقدم صورة مفصلة وأكثر عملية لذلك، عمل ريمون كيفي وفان لوك كمبنهود التفصيلي المنهجي العملي الذي نقرأه في كتابهما الشهير:" دليل الباحث في العلوم الاجتماعية". إنه عمل رائع، شارح ومنظم بشكل منهجي لمسار وسيرورة البحث من بدايته لنهايته وبشكل مفصل وعملي عنصرا بعنصر. لقد اقترحا مسارا مهيكلا في سبعة مراحل تفصيلية، مبرزين في ذلك خصوصية كل مرحلة، شروطها ومكوناتها. و القطع هو عنصر المسار المبدئي، التصوري والمؤسس لانطلاقة البحث، ينجز من خلاله عالم الاجتماع فصلا جوهريا بين أشكال المعرفة السوسيولوجية وغير السوسيولوجية[1].

1 انظر: ريمون كيفي ولوك فان كمبنهود، المرجع نفسه، ص31

ويتشكل القطع الابستمولوجي أو المنهجي حسب كيفي و كمبنهود من ثلاثة مراحل بحثية أساسية تتمثل في سؤال الانطلاق، الاستكشاف والإشكالية.

1.سؤال انطلاق البحث السوسيولوجي

وهو المكون المنهجي البحثي الأول لانطلاق البحث عمليا، أي أنه مرحلة أولى تعقبه ستة مراحل أخرى عملية مترابطة ومنتظمة وفق تقسيم كيفي و كمبنهود. له مواصفات وشروط ينبغي التحقق منها من خلال التنبه الابستمولوجي والمنهجي وفق تعبير بورديو.

فما هو سؤال الانطلاق؟ وما أهميته؟ وما الشروط التي تحكمه؟

1.1. المفهوم و الأهمية:

سؤال الانطلاق هو أول عنصر بحثي منهجي في مسار البحث السوسيولوجي، عنصر قطع ابستمولوجي/ منهجي تأسيسي للبحث تتحدد أهميته بما يمكن أن يقدمه على مستوى القطع الابستمولوجي والمنهجي من إمكانية انطلاق البحث وفق شروط العلم والبحث العلمي، يعني ذلك أنه من غير الممكن منهجيا صياغة إشكالية وبناء فرضيات..، وتنفيذ باقي الأعمال البحثية دونما سؤال انطلاق تتوفر فيه المواصفات السوسيولوجية المحددة ابستمولوجيا ومنهجيا.

لسؤال الانطلاق صياغة لغوية مفاهيمية مناسبة تعبر عن الظاهرة المراد دراستها، وهو نص مقتضب وملخص تلخيصا غير مخل بالمعنى، أي أنه يتضمن فقط العبارات التي تتحدد بها متغيراته وعلاقة هذه المتغيرات فيما بينها، ومجتمع بحثه. من الناحية البنائية قد ينطلق البحث من سؤال وصفي يتضمن متغيرا واحدا، كما قد ينطلق من سؤال متعدد المتغيرات بعلاقات سببية أو وظيفية.

تكمن أهميته البحثية الابستمولوجية و المنهجية في:

. القطع المنهجي الابستمولوجي المناسب الذي يوضح مضمون الموضوع وحدوده المعرفية والمنهجية،

. يحدد موضوع البحث بشكل واضح ودقيق؛ أي من حيث متغيراته و علاقتها ببعضها، ومجال إشكاليته..،

. يوجه العمل الاستكشافي من قراءات واطلاع على أهم ما كتب حول الموضوع، وكذا من مقابلات استكشافية..،

. تتحدد به اختيارات الباحث وعناصر البحث وأدواته المختلفة من بداية العمل لنهايته؛ هذا يعني أن الاستنتاجات التي يفضي إليها التحقق البحثي ما هي إلا إجابة عن موضوع سؤال الانطلاق.

2.1. شروط سؤال انطلاق جيد:

تحكم جودة سؤال الانطلاق مجموعة من الشروط التي يمكن تحديدها بشكل ملخص انطلاقا من عمل كيفي وكمبنهود في كتابهما دليل الباحث الاجتماعي، وذلك كما يلي[1]:

✔ شرط الوضوح و الدقة:

ويتعلق الأمر هنا تحديدا بصياغة هذا السؤال صياغة لغوية علمية، أي بعبارات علمية مناسبة التي هي المفاهيم، وببنية مناسبة.

فمن ناحية يسمح ذلك ببنية سؤال تتحدد ب:

. مفاهيم واضحة ومناسبة،

1ريمون كيفي ولوك فان كمبنهود، المرجع، ص40.51

. وضوح متغيرات البحث،

. وضوح طبيعة العلاقة بين متغيرات البحث،

ومن جهة أخرى يسمح ذلك بصياغة مناسبة من خلال:

. صياغة بمفاهيم سوسيولوجية مناسبة انطولوجيا وابستمولوجيا ومنهجيا،

. تلخيص غير مخل بالمعنى،

. تجنب كل العبارات الزائدة التي يمكن أن تشوش على مضمون السؤال واتجاهه البحثي.

↙ شرط الملاءمة:

يتعلق الأمر هنا بتحديد موضوعنا هل هو وصفي، أم تفسيري أم تنبؤي..، وهو سؤال بحث علمي ليس هدفه المحاكمة ولا يصاغ بعبارات فيها محاكمة أو موقف..، ليس سؤالا فلسفيا ولا أخلاقيا ولا سياسيا..

↙ القدرة على الإنجاز:

الشرط الثالث والأخير حسب كيفي وكمبنهود دائما، يمكن القول إنه شرط شكلي، يتعلق أساسا بالقدرة على إنجاز البحث من خلال امتلاك الموارد التالية:

. موارد معرفية مناسبة: ويتعلق الأمر هنا بالتمكن العلمي والمنهجي، بالرصيد السوسيولوجي بشكل عام، وتحديدا فيما يتعلق بموضوع البحث،

. زمن كاف: لكل بحث زمن معين للتمكن من إنجازه ينبغي أن يكون كافيا،

. إمكانيات مادية مناسبة: وهذا مهم جدا ليضمن الباحث عدم توقف بحثه في مرحلة ما منه.

3.1. أمثلة عن أسئلة انطلاق:

* التكامل المعرفي وبنية إشكاليات البحث في العلوم الإنسانية والاجتماعية،

* الاندماج التنظيمي والعلاقات السوسيومهنية داخل المؤسسة الاقتصادية،

* التوظيف العقلاني والأداء الوظيفي بالمؤسسة الإدارية العمومية الجزائرية،

*كسؤال وصفي: العقلانية التنظيمية في المؤسسة الاقتصادية الجزائرية.

الشكل رقم(): ملخص خصائص سؤال الانطلاق حسب كيفي وكمبنهود

المصدر: من إنجاز الأستاذ

المحاضرة الرابعة: الاستكشاف

الاستكشاف عنصر قطعي يتوسط سؤال الانطلاق والإشكالية، لذا فهو عنصر تحقيق واختبار لسؤال الانطلاق، لكن كذلك عنصر تنمية وتطوير للإشكالية. إذن هو ما يبني معرفتنا المتخصصة والخاصة حول موضوع بحثنا ومجتمع بحثنا، وينميها للمستوى الذي يسمح لنا بالانطلاق باطمئنان، ومعرفة موسعة ودقيقة لبلورة مقاربتنا وتصورنا المناسبين لموضوع بحثنا.

1. المفهوم:

الاستكشاف هو مرحلة بحثية مهمة، وعنصر لا يمكن أبدا تجاوزه. وهي عنصر بحثي قطعي يأتي مباشرة بعد سؤال الانطلاق يسمح من جهة بمتابعة البحث، وحتى بإعادة النظر في سؤال الانطلاق في حالات معينة.

2. الأهمية:

تكمن أهميتها خاصة في العناصر الأساسية التالية:

- ✓ تنمية معرفة الباحث بموضوع بحثه:

وهذا ما سيتم نظريا وميدانيا، من جهة من خلال إجراء القراءات اللازمة لكل ماله صلة بموضوع بحثه من قريب أو بعيد، لكن بالتركيز على ما يهم الناحية الابستمولوجية والبنائية لموضوع بحثه، ومن جهة أخرى من خلال عمل ميداني استكشافي تطرح من خلاله بعض الأسئلة وتجرى بعض المناقشات المناسبة،

- ✓ تنمية معرفة الباحث بمجتمع بحثه:

وهذا يتم خاصة بالنزول الميداني الاستكشافي، بإجراء مقابلات استكشافية ميدانيا مع كل من يتوقع منه تقديم إضافة مناسبة من مختصين ومبحوثين محتملين. إجراء بعض

الملاحظات الممكنة التي قد تفيدنا كذلك في جمع ما أمكن من معلومات استكشافية بهدف الاستفادة والمقارنة كذلك مع نتائج المقابلات.

يتوقع أن يؤدي إنجاز هذا العمل بشكل مناسب إلى ما يلي:

• اختبار سؤال الانطلاق: من خلال توسيع معرفتنا بموضوع البحث نظريا وميدانيا وتعميق ذلك؛ فمن جهة نحن نقوم بذلك تعميقا لثقتنا بسؤال انطلاقنا، ومن جهة أخرى نعرضه لعملية اختبار استكشافية مناسبة،

• التمهيد لبناء إشكالية البحث: بناء إشكالية البحث يتوقف على الاستكشاف، وبدون ذلك لن تكون هناك إشكالية ذات قيمة وجودة مناسبة،

• التمهيد لبناء فرضيات البحث ومفاهيمه: إذ من غير الممكن تماما بناء فرضيات لبحث علمي دون استكشاف مناسب. فما يسمى بفرضيات في حالة عدم تأسيسه على مرحلة استطلاعية هو في الحقيقة مجرد تخمينات عقلية وفلسفية لا تشكل أي إضافة علمية مناسبة، وهي من الناحية الابستمولوجية غير مقبولة وغير عملية. فبالعودة إلى تعريف الفرض نجد أنه يستند من جهة إلى استنباط نظري مناسب، ومن جهة أخرى إلى ملاحظات وعمل ميداني استطلاعي كذلك.

3. كيف يتم العمل الاستكشافي:

هناك الكثير مما كتب حول هذا الموضوع، بشكل عام يمكن تلخيص ذلك، من خلال مؤلف كيفي وكمبنهود المشار إليه سابقا، في عنصرين أساسيين هما:

↙ القراءات والمطالعات الاستكشافية:

قراءة مناسبة حول الموضوع للكتابات خاصة التي تعرض دراسات تمت حول الموضوع، لكتب مهمة ورئيسية، لأعمال مختلفة يمكنها أن تسهم بشكل أو بآخر بتثقيف الباحث حول

موضوع بحثه بما يكفي لبناء المراحل اللاحقة من إشكالية وفرضيات ومفاهيم. للقراءة منهجية مناسبة تبدأ من اختيار ما يقرأ من جهة، والاستفادة بشكل مناسب مما يقرأ من جهة أخرى.

↙ العمل الميداني الاستكشافي:

ويتشكل غالبا من مقابلات استكشافية مع كل من يمكنه تقديم إضافة مناسبة ومعلومات مفيدة، مختصين ومبحوثين محتملين..، ومن ملاحظات استكشافية كذلك قد تفيدنا في توسيع معارفنا الاستكشافية موضوعا ومجتمع بحث، كما قد تفيدنا في عملية المقارنة بين ما حصلنا عليه من معلومات من خلال المقابلة مثلا.

↙ هذين العملين، المطالعات الاستكشافية والعمل الميداني الاستكشافي، كليهما وفي علاقة ببعضهما كما، نوعا ونقدا هو ما سيشكل الأساس الابستمولوجي المناسب لاختيار إشكالية بحث وبنائها بشكل جيد، وبناء نموذج تحليلي مناسب.

المحاضرة الخامسة: الإشكالية

وهي العنصر البحثي التي يبرز من خلالها الباحث مقاربة وتصور بحثيين مميزين، أي أنه بذلك يواصل مهمة القطع الابستمولوجي والمنهجي، لكن كذلك يعبر عن مساهمة معرفية وعلمية مفيدة وأصيلة في مجال التراكم المعرفي. وتتقيد الاشكالية بدورها بمبادئ ابستمولوجية وشروط منهجية صارمة شكلا ومضمونا، أي في لغتها وبنيتها وحتى من حيث حجمها.

كل بحث يبني إشكاليته، وكل إشكالية تبعا لذلك تحدد موضوع بحثها مفهوما ومقاربة. يحدد الباحث إشكاليته وأسئلتها، ويبنيها بعد استعراض نقدي ابستمولوجي للإشكاليات المختلفة الممكنة التي تمت حول نفس الموضوع أو قريبا منه.

1. المفهوم:

هي عنصر بحثي مهم، مرحلة ثالثة في مسار البحث، تتحدد نظريا وميدانيا بناء على استكشاف مناسب. تصاغ لغويا بلغة علمية مفاهيمية مناسبة وواضحة، وتبنى بعناصر تحقق في نهاية المطاف المطلوب اختباره نظريا وميدانيا. وهي عنصر قطعي بنائي يتحدد به سؤال الانطلاق ويحلل إلى أسئلة إشكالية تحدد مقاربة محددة المفاهيم والمتغيرات. إنها:" مجموع عناصر تشكل معا تصورا بحثيا يتم تحديده بالإجابة على أربعة أسئلة مهمة صاغها موريس أنجرس، كما يلي[1]:

. لماذا نهتم بالموضوع؟

. ما الذي نطمح لبلوغه؟

. ماذا نعرف إلى حد الأن؟

. أي سؤال البحث سنطرح؟

2. العناصر البنائية والخصائص الكبرى للإشكالية البحثية:

1 موريس أنجرس، **منهجية البحث العلمي**: تدريبات عملية، دار القصبة، الجزائر، 2006، ص141-143.

يقترح أنطوان ليون تحديد بنائها وخصائصها كما في الشكل التالي[1]:

الشكل رقم: اللحظات الكبرى لتحديد الإشكالية ومكوناتها

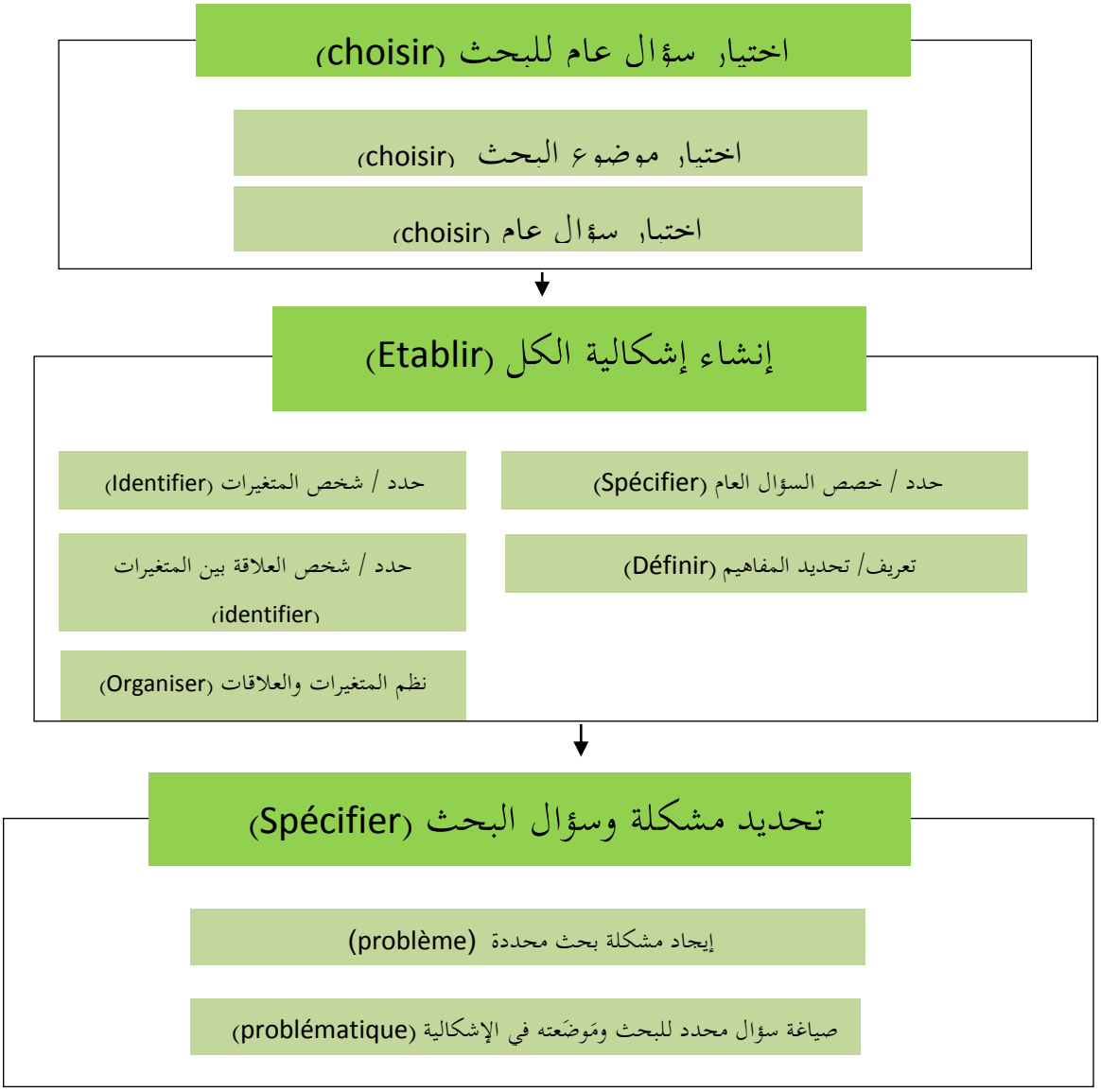

Source : Antoine Léon, **la spécification de la problématique**, in **: Recherche sociale** : de la problématique à la collecte des données, sous-direction de : Benoit Gauthier, P U Q, Québec, 60

انظر: تفصيل هذا المخطط في:

1 Antoine Léon, **la spécification de la problématique**, in **: Recherche sociale** : **de la problématique à la collecte des données**, sous-direction de : Benoit Gauthier, P U Q, Québec, p51-75

* المرحلة الثانية في البحث هي الاستكشاف، لكن الاستكشاف ليس عنصرا بينيا بنائيا بين السؤال والإشكالية، وإنما هي فعل بحثي يتم من خلاله تنمية معرفة الباحث بموضوع بحثه للمستوى الذي يسمح له ببناء وصياغة إشكاليته، أي بتحويل سؤال عام وهو سؤال الانطلاق إلى سؤال محدد محلل إلى أسئلة محددة في هذه الإشكالية..

هذا المخطط يبرز تفصيل بناء إشكالية البحث ككل بداية من سؤال الانطلاق كمرحلة أولى وصولا إلى الإشكالية، كمرحلة ثالثة في البحث*. فالإشكالية هي تخصيص وتحديد لسؤال الانطلاق والأسئلة المتصلة به في نهايتها، وهذه الأخيرة لا تتحدد إلا بتحديد المفاهيم وتحديد علاقة المتغيرات فيما بينها وتنظيم علاقتها ببعضها بما يبني مقاربة وتصورا خاصين بالبحث والباحث اتجاه موضوع بحثه. إن هذا التحديد، هذه الخصوصية وهذا التنظيم هو ما يجعل إشكالية بحثنا واضحة، مميزة وملائمة.

إشكالية جيدة ينبغي أن تتضمن عموما العناصر البنائية التالية:

↙ عرض ابستمولوجي نقدي ومنهجي لمختلف المقاربات التي تناولت نفس الموضوع أو قريبا منه، وهنا يستعرض الباحث تراثا سوسيولوجيا إشكاليا ذا صلة، أو دراسات سابقة قريبة من الموضوع لكن بمقاربات مختلفة ومتعددة. وقد يتضمن ذلك مثلا تصورا وعناصر إشكالية مختلفة، مقاربة نظرية مختلفة، وربما حتى أدوات منهجية مختلفة يرى الباحث أنها غير موفقة، أو يعتريها بعض الخلل والقصور، أو أنها غير مناسبة انطلاقا من العلاقة الثلاثية المتبادلة للانطولوجي بالابستمولوجي وبالمنهجي، علاقة النظري بالميداني، مصداقية النتائج المتوصل إليها..، الهدف هنا هو نقدي إذن بالأساس لما سبق وتمهيدي لما سيقترح.

↙ عرض مقاربة الباحث حول موضوع بحثه أو تصوره الإشكالي الخاص به، وهو يتضمن تحديدا واضحا ودقيقا لإشكالية البحث التي ستتم دراستها فيما بعد،

↙ عرض أسئلة مقاربته الإشكالية تلك للموضوع، أي تصوره الإشكالي الشخصي والمحدد؛ فيبني أسئلة إشكاليته انطلاقا من إعادة صياغة سؤال الانطلاق فيما يسمى بسؤال عام أو مركزي أوإجرائي، ثم أسئلة جزئية أو فرعية، أو من خلال صياغة مجموعة أسئلة مباشرة دونما المرور على هذا السؤال العام أو الإجرائي، هذا ما تحدده الطبيعة المجردة أو الإجرائية لسؤال الانطلاق.

3. شروط إشكالية جيدة:

هناك شروط عامة، وأخرى خاصة تتعلق بالإشكالية دون غيرها من عناصر البحث، من ضمن ذلك يمكننا أن نحدد ما يلي:

. الوضوح:

ويشمل ذلك الصياغة اللغوية التي يجب أن تكون سهلة وبسيطة وبالاختصار المناسب وغير المخل بالمعنى. هذا يعني أن ذلك يتم بلغة مفاهيمية متخصصة ومناسبة تحدد اتجاه الموضوع ومضمونه، وهذا ما يبرز متغيرات البحث ويعطيها معنا ضمن شروط القطع والبناء بما يسمح بتحليل مناسب فيما بعد. الوضوح والدقة تتعلق إذن بخصائص لغة الإشكالية، بمفاهيميها وبعناصرها.

. أن تتضمن عناصرا مناسبة:

أي توفرها على مختلف العناصر اللازمة لبناء إشكالية جيدة، محددة ومتميزة؛ ويتعلق الأمر هنا بمجموع العناصر البنائية الثلاث المشار إليها سابقا، تحديدا وأكثر الأسئلة.

. أن يكون هناك انسجام فيما بينها وبين سؤال الانطلاق:

أي في إطار مسار بحثي موحد ومحدد؛ فهي إشكالية سؤال انطلاق جرى طرحه سابقا. وهي عنصر قطعي يحدد الأسئلة المرتبطة به ويستكمل بذلك إنجاز فعل القطع الابستمولوجي.

. أن تمهد مفاهيميا ومقاربة لبناء فرضيات مناسبة للموضوع البحث:

فبدون موضوع إشكالية لا يمكن بناء فرضيات مباشرة من سؤال الانطلاق، فإذا كانت الإشكالية هي ما يحدد موضوع البحث، فإن الفرضيات هي ما يبنيه ويضعه موضع التنفيذ.

إشكالية جيدة ينبغي أن تتضمن عموما العناصر البنائية التالية:

↙ عرض ابستمولوجي نقدي ومنهجي لمختلف المقاربات التي تناولت نفس الموضوع أو قريبا منه، وهنا يستعرض الباحث تراثا سوسيولوجيا إشكاليا ذا صلة، أو دراسات سابقة قريبة من الموضوع لكن بمقاربات مختلفة ومتعددة. وقد يتضمن ذلك مثلا تصورا وعناصر إشكالية مختلفة، مقاربة نظرية مختلفة، وربما حتى أدوات منهجية مختلفة يرى الباحث أنها غير موفقة، أو يعتريها بعض الخلل والقصور، أو أنها غير مناسبة انطلاقا من العلاقة الثلاثية المتبادلة للانطولوجي بالابستمولوجي وبالمنهجي، علاقة النظري بالميداني، مصداقية النتائج المتوصل إليها..، الهدف هنا هو نقدي إذن بالأساس لما سبق وتمهيدي لما سيقترح.

↙ عرض مقاربة الباحث حول موضوع بحثه أو تصوره الإشكالي الخاص به، وهو يتضمن تحديدا واضحا ودقيقا لإشكالية البحث التي ستتم دراستها فيما بعد،

↙ عرض أسئلة مقاربته الإشكالية تلك للموضوع، أي تصوره الإشكالي الشخصي والمحدد؛ فيبني أسئلة إشكاليته انطلاقا من إعادة صياغة سؤال الانطلاق فيما يسمى بسؤال عام أو مركزي أوإجرائي، ثم أسئلة جزئية أو فرعية، أو من خلال صياغة مجموعة أسئلة مباشرة دونما المرور على هذا السؤال العام أو الإجرائي، هذا ما تحدده الطبيعة المجردة أو الإجرائية لسؤال الانطلاق.

المحاضرة السادسة: البناء.. الفرضيات والمفاهيم

يتضمن فعل البناء عدد من العناصر المهمة التي تربط القطع بالتحقق، يتعلق الأمر بالنسبة لكيفي و كمبنهود ب"النموذج التحليلي" الذي يتضمن بالنسبة لهما عنصري الفروض والمفاهيم ، فالفروض هي مايضع البحث موضع تنفيذ لكن انطلاقا من تحديد المفاهيم ثم تحليلها، فهذا ما يسمح ببناء أدوات البحث المنهجية، والمعاينة وما يلي ذلك من تحليل ثم استنتاج .

إن ثقتنا في مستوى ما محقق من القطع الابستمولوجي، وممارستنا للتنبه المنهجي والابستمولوجي والتأصيل خاصة، هو ما يسمح لنا ببلورة مناسبة لبناء موضوع البحث. لماذا؟

لأن بناء الموضوع ليس شيئا معطى من الوقع مباشرة للبحث أو الباحث مستقل ونزيه، وعلمي ومنهجي..، وإنما هو جهد يقوم به الباحث ذاته، فهو من جهة عمل احترافي موثوق أو يجب الثقة به في ضل شروط ومبادئ محددة، لكنه كذلك عامل خطر. فالبحث ينطلق مما يقطعه الباحث ويبنيه وليس من الوقائع مباشرة. نحن إذن نبني وفق وجهات نظرنا عن الواقع، ووفق مقاربة منهجية وابستمولوجية نبني موضوعا بحثيا من الواقع لنعود إليه لاحقا عند التحقق، وهنا يكمن الأختلاف فيما بين الباحثين، تميز أعمالهم وأصالتها ومصداقيتها العلمية. يلاحظ بشأن ذلك ماركس أن:" الكلية في الخارج بوصفها كلية يتفكر بها، أي ما هو في الخارج ومتفكر به، هي في الحقيقة نتاج الفكر، نتاج فعل الإدراك..، فالكلية كما تظهر في الذهن أي ككل متفكر به، هي نتاج الدماغ المفكر الذي يستحوذ على العالم بالطريقة الوحيدة الممكنة.."[1]

1 بورديو، حرفة عالم الاجتماع، ص43

أولا: الفرضيات

للفرضيات دور أساسي في البحث العلمي ككل، وفي البحث السوسيولوجي على وجه التحديد، لما لها من دور بنائي وتنفيذي للموضوع.

1. معنى فرضية:

يمكن تعريفها على أنها مقترح علمي يبني علاقة بين متغيرات بحثيا، لكن انطلاقا من علاقة واقعية ملاحظة ومعقولة بهدف التحقق. ويمكن تعريفها كذلك بوصفها مشروع تحقق علمي لعلاقة بين متغيرات في البحث وعلاقة بين ظواهر في الواقع. تصاغ بلغة مفاهيمية، وتتضمن متغيرات وعلاقة متغيرات قابلة للتحقق العلمي.

نقرأ في كتاب فرانسوا ديبالتو التعريفات التالية:[1]

. تعريف ماري فابيان فورتان Marie-Fabienne Fortin:" بيان رسمي يتنبأ بالعلاقة أو العلاقات المتوقعة بين متغيرين أو أكثر. إنها إجابة معقولة لمشكلة (Problème) بحث"

. بونوا غوتيي Benoit Gauthier :" عرض يتعلق بعلاقة بين مفاهيم معينة أو مجموعة من المفاهيم الخاصة، والتي لا نعرف لحد الآن ما إذا كانت صحيحة أم خاطئة، لكننا نعتقد أن الحقائق ستكون قادرة على إثبات إما الاحتمال أو الخطأ"

يعرفها جوردون ميس Gordon Mace كما يلي:" يمكن اعتبار الفرضية بمثابة إجابة متوقعة يصوغها الباحث لسؤاله البحثي المحدد"[2]

1 François dépelteau, **la démarche d'une recherche en sciences humaines :** De la question de départ à la communication des résultats, 2e ed, 2e tirage, P.U.L, Québec, 2011, p162

2 Ibid, p163

كما يعرفها كذلك كل من ترومبلاي و مانهايم وريتش Tremblay, Manheim, Rich على أنها:" بيان تصريحي يحدد العلاقة المتوقعة والمعقولة بين الظواهر الملاحظة والمتخيلة"[1]

بغض النظر عن عبارة "إجابة" ، فإن الفرضية حسب هذين التعريفين تتميز بكونها:

. "إجابة" متوقعة، بيان تصريحي لعلاقة متغيرات وظواهر..، هي مقترح تحققي علمي لعلاقة متوقعة ومقبولة بين متغيرات البحث على مستوى الموضوع، وبين ظواهر المجتمع على مستوى الواقع.. تصاغ وتبنى بصرامة انطلاقا من سؤال البحث ولفائدة التحقق منه.

. العلاقة المقترحة على مستوى البحث كمتغيرات، أو ملاحظة على مستوى الواقع كعلاقة بين ظواهر اجتماعية فيما بينها، هي علاقة مقبولة، معقولة ومتوقعة لسبب بنتيجة مبنية على مؤشرات واستنباط.

تبنى الفرضية إذن وفق مسار صارم ناتج عن استطلاع، وليست مجرد تخمين ناتج عن نظر عقلي بحت، أو مجرد استنباط نظري من نظرية انطلاقا من المقاربة النظرية المعتمدة وفقط. يعني ذلك أن الفرضية منتج عقلي تجريبي، أي استدلالي نظري واستقرائي أمبريقي. هذا يخالف بعض التعريفات غير الدقيقة التي تخلط بين التخمين العقلي و الفرضية التجريبية أو التحققية. فالفرضية كأداة بنائية للتحقق، البحثي العلمي، تم تطويرها أصلا في سياق البحث عن أدوات مناسبة للانتقال من المعرفة الفلسفية إلى المعرفة العلمية من خلال التفكير والممارسة البحثيين العلميين، فإذا كان التخمين التأملي العقلي منهج وأداة الفلسفة، فإن التجريب والتحقق العلمي والفرضية هي منهج وأداة العلم.

1 Ibid, même page

2. كيف تبنى الفرضية:

هناك أنواع فرضيات تناسب كل منها نوع البحث الذي يتم، فالبحث الوصفي تناسبه الفرضية التقريرية أي الوصفية ذات المتغير الواحد، أما البحث السببي فتناسبه الفرضية السببية.

تبنى الفرضية السببية على العلاقة السببية بين متغيرين أو أكثر، ويتم اختبارها وفق منهج وتقنيات بحث مناسبة قد لا تكون نفسها تلك التي يتم بواسطتها اختبار فرضيات البحث الوصفي.

3. خصائصها:

يمكن تحديد بعض أهم خصائصها كما يلي:

- ✔ تتضمن الفرضية متغيرات بحثية محددة بعلاقة محددة تكون قابلة للتحقق والتجريب،
- ✔ تصاغ الفرضيات مفاهيميا بما يحقق مطلب الدقة والوضوح معنى ومبنى،
- ✔ تشكل الفرضيات معا نسقا موحدا، أو جهازا فرضيا واحدا للتحقق من الموضوع ككل.

فلا يجب أن يكون هناك أي تناقض بين فرضيات البحث الواحد، و هذا لن يكون ممكنا في حال احترام الشروط العلمية والمنهجية التي تحكم بناء الموضوع وتحليله. هذا التناقض قد ينتج عن البناء انطلاقا من تناقض نظري أو نظري، أي من نظريات متناقضة من حيث منطلقاتها وافتراضاتها ومفاهيمها، أو من وقائع متناقضة.

هذه الخصائص المهمة للفرضية هي ما يحكم قبولها كفرضية من عدمه، فالفرضية لا يمكن أن تكون فرضية إلا إذا تضمنت هذه المتغيرات من جهة، لكن كذلك علاقة تجريبية تحققية واضحة فيما بينها، تبرز بالنسبة للبحث السببي عنصر التأثير أي المتغير المستقل، وعنصر تلقي التأثير أي المتغير التابع. كما أن هذه الفرضية وهذه المتغيرات هي أصلا مفاهيم ذات معاني محددة مبنية نظريا وإمبريقيا بما يحقق شرط الدقة والوضوح. والفرضيات في إطار بحث

معين هي جهاز متكامل يشكل نسقا موحدا، يعني ذلك أن هذا النسق أو هذا الجهاز ينفي أي تناقض ممكن بين فرضيات البحث الواحد. قد ينتج هذا التناقض بالأساس عن قصور في عمل الباحث خاصة في مرحلة الاستطلاع وعدم تقيده بصرامة المنهج العلمي في ذلك، وحله هو الالتزام بشرط الاستطلاع المناسب نوعيا وزمنيا، أي نظريا و إمبريقيا وبالترتيب الزمني المناسب وفق ما هو معروف منهجيا عن ذلك. إن ضعف القراءات اللازمة، وضعف الاستطلاع الميداني لا يسهم فقط في تشوش وارتباك الباحث وهشاشة عمله، وإنما في عدم افتقاد إشكالية بحثه وفرضياته منذ البداية إلى مبررات علميتها، ما يجعلها عناصر لاغية، فضلا عن أن العناصر التالية كتحديد المفاهيم وتحليلها، اختيار المنهج والتقنيات، وبناء هذه تقنيات..، تصبح بذلك غير ممكنة في إطار بمقاييس الشروط الابستمولوجية والمنهجية التي تحكم ذلك.

↙ هي مجرد مقترح مؤسس نظريا وأمبريقيا يبرز علاقة محددة بين متغيرات بهدف التحقق؛ ليست إجابة عن أسئلة الإشكالية، ليست قانونا علميا ولا حكما علميا. وهذا ما يجعل صياغتها تبرز حقيقة أنها مجرد اقتراح وليس استنتاجا أو تأكيدا،

↙ قد تتحقق فرضيات البحث وقد لا تتحقق، فالبحث الميداني وحده القادر على الإجابة على ذلك. هذا لا يعني بأي حال من الأحوال أن الفرضية تصاغ عبثا، أو بدون جهد مناسب يجعلها أقرب للتحقق من عدمه. هناك إذن جهد علمي ومعرفي يبذل في مرحلة الاستكشاف لضمان اقتراح أفضل الفرضيات بأقوى علاقة متغيرات ممكنة، وبأقرب مسافة ممكنة من الحقيقة، لكن رغم كل ذلك ما يشكل الجوهر العلمي الفرضية هو أنها تصاغ للتحقق وليس للتأكيد.

4. من أين نصوغ فرضية؟

تصاغ الفرضيات انطلاقا من قاعدتين اثنتين[1]:

. صياغة الفرضيات بواسطة الاستطلاع غير المباشر، أي انطلاقا من السجلات الرسمية للمؤسسات المختلفة حسب الحالة وطبيعة البحث ومجتمع البحث. و هذا ناتج غالبا عن عدم تمكن الباحث من استطلاع الميدان لأسباب ذاتية أو موضوعية، كعدم القدرة على تلبية المتطلبات المادية لذلك، أو لصعوبة العمل في أوضاع معينة ومع مجتمع معين، الوقت المناسب..، في بعض الحلات وبعض المواضيع تعتبر السجلات الإحصائية، وسجلات الحالة المدنية..، أفضل بكثير من الاستجواب المباشر.

. صياغة الفرضيات انطلاقا من الاستطلاع الميداني؛ هذا يساعد الباحث على تصور أفضل لعلاقة المتغيرات فيما بينها انطلاقا من الوقائع المجتمعية، ويسمح له بمستوى من الملاحظة تمكنه من تصور، انتقاء وبناء التقنيات المناسبة للبحث لاحقا فضلا عن بناء الفرضيات. هذا النوع من العمل يستجيب كذلك للحاجة الملحة لتجاوز التصورات والتقييمات المسبقة، ولتجاوز ما يمكن ان يعتري معطيات السجلات من ضعف أو ضعف مصداقية من الناحية العلمية خاصة أن السجلات تستجيب لشروط أخرى قد لا تكون الدقة العلمية من ضمنها.

1 انظر: ريمون بودون ورينو فيول، الطرائق في علم الاجتماع، ترجمة: مروان بطش، ط1، مجد، بيروت، 2010، ص10-11

5. أهميتها:

يمكن تحديد بعض أهم عناصر أهميتها كما يلي:

- **تعتبر** العنصر البنائي المهم الأول في البحث الذي يطلق عملية الاختبار والتحقق، والذي على أساسه تتحدد العناصر البنائية التالية من تحديد للمفاهيم وتحليلها، الدراسة النظرية للموضوع وبناء أدوات التحقق الميداني والاختبار.
- وضع البحث من ناحية التحقق والاختبار موضع التنفيذ،
- توجيه البحث نظريا و ميدانيا،
- يمكن أن تتحول إلى قانون علمي أو حكم علمي بعد التحقق والتأكد.

المحاضرة السادسة: البناء.. المفاهيم والمتغيرات

للمفاهيم والمتغيرات دور مركزي في البحث، ذلك أننا نعبر لغويا عن بحثنا بالمفاهيم لكن ندرسه من خلال المتغيرات.

أولا: المفاهيم:

لكل بحث مفاهيمه الخاصة التي تسمح بتعبير أفضل عنه وتحديد أفضل له؛ وهي تتبع من جهة المقاربة النظرية للبحث، ومن جهة أخرى لإشكالية البحث وفرضياته. فنحن نحدد الموضوع انطلاقا من المفهوم، لكن ندرسه انطلاقا من المتغير.

1. معنى مفهوم:

يعرفها موريس أنجرس على أنها:" تصور ذهني عام ومجرد لظاهرة أو أكثر وللعلاقات الموجودة بينها"[1]

المفاهيم هي كائنات بحثية نظرية تجريدية تمكننا من تسمية الواقع عن طريق تجريده في صورة ذهنية مناسبة، والمفهوم السوسيولوجي تحديدا أكثر تعقيدا وتجريدا يتطلب من ناحية ابداعه وتطويره، بل وحتى استعماله أحيانا، دراسة كاملة بحد ذاتها، وهذا ما يقع ضمن جوهر ما يسمى بالبحث الأساسي الذي يسائل النظريات والمفاهيم ويطورها.. إلخ. ويعرف المفهوم بشكل مناسب للموضوع، فهو نسبي، ولا يعرف في كل البحوث بنفس الحدود و الأبعاد والعناصر التكوينية وبشكل دائم. إنه مرتبط في حدوده التعريفية بموضوع محدد بعينه، ويتأثر في ذلك بزمكانية البحث والخصائص المجتمعية المختلفة فيما بين المجتمعات، وبمقاربة الباحث وتصوره، وحتى موارده المعرفية وتمكنه.

2. خصائص المفهوم السوسيولوجي:

للمفهوم السوسيولوجي عدة خصائص ينبغي أخذها بعين الاعتبار عند أي محاولة بناء، تطوير أو تحديد وتحليل للموضوع. يمكننا تسجيل الخصائص المهمة التالية:

- أكثر تعقيدا:

وهذا راجع لتعقد الظاهرة الاجتماعية ذاتها بالنظر لتداخلاتها مع الظواهر الأخرى ومن حيث خصائصها الذاتية كذلك، هذا من جهة، ومن جهة أخرى يرجع الأمر كذلك لتعقد موضوعات السوسيولوجيا؛ وهذا ما يتطلب قدرا مناسبا من الفعل الابستمولوجي بداية قبل الفعل المنهجي،

1موريس أنجرس، المرجع نفسه، ص158

• أكثر نسبية:

لن يتمكن أي مفهوم مهما كان عمقه النظري والإجرائي من التعبير الكامل والمكتمل عن مختلف خصائص الظاهرة، أي أن تجريد الواقع في صورة ذهنية مكتملة ليس ممكنا بالتمام والكمال. هذا إضافة لكونه يتبع نظرية معينة وبحث معين ومجتمع بحث معين، وأنه إنتاج مجتمعي فكري وتاريخي قبل أن يكون منتجا علميا خالصا، هذا ما يجعل منه وباستمرار موضع نقد وتجاذبات معرفية ونظرية، وتعريف وإعادة تعريف نظرية وإجرائية في كل بحث يتم،

• أكثر تغيرا:

تلك صفة أساسية ابستمولوجية في المفهوم، فكما تتكيف النظرية وتتطور حسب المجتمعات وحسب التحولات والتغيرات الممكنة لهذه المجتمعات..، ينبغي كذلك أن يتغير المفهوم،

ويخضع للتمحيص والنقد والتطوير الدائم. ربما تكون هذه الخاصية أكثر إلحاحا بالنسبة للسوسيولوجيا تحديدا، وللعلوم الإنسانية والاجتماعية بشكل عام.

• أكثر تجريدا:

يعتبر المفهوم السوسيولوجي أكثر المفاهيم تجريدية من مفاهيم العلوم التجريبية مثلا، وحتى من بعض مفاهيم العلوم القريبة اجتماعية كانت أوإنسانية. هذا يأتي بالنظر لكون الكثير من مفاهيم السوسيولوجيا تتبع نظريات أكثر تجريدية هي كذلك، ولأن التحولات والتغيرات المجتمعية التي تمت والتي تتم باستمرار تتطلب إبداعا مستمرا للمفاهيم لتعريفها وتسميتها بشكل مناسب. يعني ذلك أن المفهوم يتم إنتاجه للتعبير عن شيء سبقه في الوجود لكن كذلك لشيء في طور التكوين أي لم يحصل بعد. كما هو الشأن مثلا بالنسبة لمفهوم بيروقراطية لدى فيبر، مفهوم رأسمالية، مفهوم عقلانية..

3. أهمية المفهوم للبحث:

للمفهوم أهمية بالغة في البحث يمكن حصرها في العناصر الثلاث التالية:

• هو لغة البحث التي تعبر عنه، والتي تحقق شروط الوضوح والدقة من بداية العمل لنهايته،

• هو عنصر بنائي للبحث، فهو يظهر بشكل أكثر أهمية في بنية سؤال الانطلاق، في الإشكالية وفي الفرضيات وفي التحليل وفي التركيب، ومن خلالها كلها في جميع مراحل البحث وعناصره بشكل أو بآخر،

• يحدد البحث والعناصر التي تدخل في سيرورة البحث نظريا وميدانيا،

• عن طريق تحديده، ثم تحليله يتمكن الباحث من بناء عناصر بحثه اللازمة، واختبار فرضياته نظريا وميدانيا،

• بعد التحليل الذي يسمح بالتحقق، يسمح المفهوم بإعادة تركيب البحث تبعا لاتجاه عملية التحليل بما يسمح بتركيب استنتاجات البحث وصولا للاستنتاج العام.

ثانيا: المتغيرات:

هي ما يسمح بتشكيل موضوع البحث واختباره، وهي ناتجة عن المفاهيم من خلال التحليل المفهومي، لكنها عكس المفاهيم لا تحاول أن تجرد الملموس وإنما تحاول أن تنقل ما هو مجرد إلى مستوى أكثر ملموسية، وأكثر إجرائية بما يسمح بالتحقق من إشكالية الموضوع وفرضياته.

1. معنى متغيرات:

المتغيرات هي كائنات بحثية تحدد الموضوع بشكل أكثر ملموسية، وتجعله من الناحية الإجرائية قابلا للتحقق. فهي تنقل البحث من الطابع النظري المتمثل في

المفاهيم، إلى الطابع الإجرائي المتمثل في المتغيرات وتجعله قابلا للتحقق والاختبار والقياس،

2. أهمية المتغيرات:

- تعبر عن موضوع البحث بشكل دقيق وواضح،
- تسمح ببناء موضوع الدراسة إجرائيا،
- تجمع بين ما هو نظري وما هو ميداني وإجرائي في البحث، وذلك من خلال تحديد وتحليل المفاهيم وصولا للمتغيرات،
- تسمح بالتحقق من موضوع الدراسة من خلال خاصية القابلية للتحقق الميداني، والقياس والاختبار،
- تحدد طبيعة العلاقات الممكنة لمتغيرات البحث، مستقل تابع مثلا،

3. أنواع المتغيرات:

تبعا لطبيعة الموضوع تتحدد طبيعة المتغيرات، فهناك متغيرات مستقلة ومتغيرات تابعة؛ المستقل يسمى متغيرا تجريبيا وهو الذي يؤثر في المتغير التابع، والمتغير التابع هو المتغير الذي يتلقى التأثير.

نوع البحث ومنهجه كمي كيفي، هو ما يحدد أنواع المتغيرات كذلك؛ فهناك متغيرات كمية، وهناك متغيرات كيفية. وذلك كما يلي:

↙ متغيرات كيفية:

وهي متغيرات لغوية أي غير رقمية، وتنقسم إلى نوعين:

. متغيرات كيفية إسمية: وهي غير قابلة للترتيب، مثلا الحالة الاجتماعية: أعزب، متزوج، مطلق..

. متغيرات كيفية رتبية: وهي قابلة للترتيب، مثلا درجة الرضا الوظيفي: راض جدا، راض، غير راض.

↙ متغيرات كمية:

وهي متغيرات، عكس الكيفية قابلة للاختبار والقياس الإحصائي، رقمية حسابية، تتشكل من الأعداد ومن القيم. وهي نوعين كذلك:

. متغيرات كمية منفصلة: وتتمثل في قيم رقمية غير قابلة للتفصيل، متباعدة وغير انقسامية. مثل عدد الأولاد، عدد التلاميذ. فتحسب مثلا 3.2.1 المجموع ثلاثة أطفال. أي لا يمكن القول إن هناك طفل ونص أو طفل وربع، هذه الأعداد غير قابلة للانقسام.

. متغيرات كمية متصلة: وتتشكل من أعداد تفصيلية، وتتصل فيما بينها بمجال أعداد. مثلا الوزن من 1 كلغ، و50 غرام..30 ملغ.. حتى 2 كلغ. عمر تلاميذ الابتدائي مثلا: 6 سنوات و6 أشهر و7 أيام.. 12 سنة، فهناك مجال تفصيلي. مثلا في حالة جدول بفئات الأعمار من 6 إلى7، ومن 7 إلى 8، هناك فواصل رقمية جزئية بين الرقمين بين 6 و 7 وبين 7 و8 كما هو واضح أعلاه.

1. من أين تأتي متغيرات البحث:

تأتي متغيرات البحث من مفاهيمه، وهي حصيلة تحديد وتحليل لمفاهيم هذا البحث، فالمفاهيم لا تمكننا من إجراء البحث، وإنما تسمح لنا بتصور الواقع ووصفه كما هو، والمتغيرات وحدها ما يمكننا من إجراء الاختبار. ويحدد بول لازار سفيلد عملية بناء المتغيرات في كتابه المشترك مع ريمون بودون المعنون ب:" من المفاهيم إلى الدلائل التجريبية" المنشور سنة 1965، بوصفها انتقالا من المجرد إلى الملموس، وذلك من خلال[1]:

1 انظر: ريمون بودون ورينو فيول، الطرائق في علم الاجتماع، ص25-37

. تحديد مضمون المفهوم بشكل أكثر ملموسية،

. تحليل المفهوم من خلال تحديد أبعاده المكونة له،

. تحديد المؤشرات، وذلك بانتقاء ما له صلة منها بالبعد و من خلاله بالمفهوم، وبالنظر لصعوبة ذلك وتعقيده فإننا نلجأ عدد أكبر من المؤشرات للاطمئنان على صحة الاختبار بالمستوى المقبول.

المحور الثاني: المناهج الكمية والكيفية في علم الاجتماع

المحاضرة السابعة: مناهج الكم والكيف في علم الاجتماع

1. ملاحظات وإشكاليات:

هناك عدد من المسائل المتعلقة بمنهج، مناهج، تقنيات وأساليب. هناك إذن إشكالية تسمية وتصنيف، الكم والكيف أم الفهم والوضعية التجريبية والكمية، الكم والكيف مرتبطين بالتصور والمبادئ المنهجية التوجيهية للبحث الابستمولوجية؟ أم بالإمبريقية التجريبية كتقنيات، أساليب وأدوات؟ هل نتكلم عن تصنيف لمناهج تطبيقية ضمن الكم والكيف أم عن منهج كمي ومنهج كيفي؟

- إشكالية تصنيف وتسمية: البعض يتكلم عن مناهج كيفية ومناهج كمية، منهج كيفي ومنهج كمي، والبعض الأخر يتكلم عن بحث كيفي وبحث كمي. هناك اختلافات واضحة حتى بين منهج ومناهج فضلا عن بحث؛ فبالنسبة للمناهج يذهب فهمنا هنا مباشرة إلى المناهج المكونة للمنهج الكيفي أو الكمي، وليس بوصفه منهجا في حد ذاته. بينما عندما نتكلم عن منهج، فنحن هنا نتكلم عن تصنيف بمفهوم منهج، أي منهج كمي ومنهج كيفي، وهنا قد يتفق البعض على ذلك وقد يختلفون، أما البحث فهو أعم من المنهج، أي أن المنهج ما هو إلا عنصر واحد فقط من ضمن مجموعة متنوعة ومتعددة من عناصر البحث، له دوره المحدد في البحث والمتمثل خاصة في تنظيمه منهجيا وتوجيهه وإمداده بالتقنيات والأدوات البحثية المناسبة. هناك إذن اختلافات في التسمية والتصنيف قد تجعلنا نطرح سؤالا ونحاول الإجابة عنه: هل نتكلم عن منهج، مناهج أم عن بحث؟

- الكم والكيف في علم الاجتماع مرتبطين بتوجيه نظري للبحث: أي أن هناك نظريات على صلة بالبراديغم الفهمي، مثل التفاعلية الرمزية، الفينومينولوجية، الاثنوميتودولوجية.. فاعتماد أي

نظرية من هذه النظريات يحيلنا مباشرة إلى ما يمكن تسميته بمنهج أو مناهج كيفية، ويسمى البحث بحثا كيفيا. وهناك نظريات على صلة بالبراديغم الوضعي، فقد كان الاهتمام بتطوير علم الاجتماع في البداية مرتبطا حسب الوضعيين باعتماد مناهج وضعية وكمية؛ ومن مناهج علم الاجتماع الوضعية أو الكمية نجد المنهج التجريبي والمسح الاجتماعي..، الأمر يتعلق إذن بالنظرية قبل المنهج، فلكل نظرية توجيه منهجي خاص بها، منهج أو مناهج مناسبة لها.

- المسألة ابستمولوجية قبل أن تكون منهجية: وهي أكثر ارتباطا بأسئلة نشأة السوسيولوجيا وتطورها ودقتها، أي أنها أسئلة إبستمولوجية بالأساس؛ ومرتبطة كذلك بالمواقف الابستمولوجية منذ مرحلة التأسيس، فكان هناك من يرى أن المعرفة السوسيولوجية متميزة عن معارف العلوم التجريبية وبالتالي لابد لها من منهج خاص بها قائم على الفهم والتأويل، ومن يرى أن علم الاجتماع كغيره من العلوم الأخرى يمكنه أن يستخدم مناهج العلوم التجريبية ليتطور وليصبح أكثر دقة ومن ذلك المنهج الكمي.

- لا تطبق هذه المناهج مباشرة في البحث: وإنما من خلال مناهج بحثية تطبيقه، وتقنيات وأدوات مناسبة. وهذا ما يجعلها موجها منهجيا أكثر منها منهج بحث بما هو متعارف عليه بحثيا ومن الناحية الإجرائية.

2. مناهج الكم والكيف وتقنياتهما:

لكل منهج منهما ما يناسبه من مناهج بحثية وتقنيات وأدوات، فإذا كان هدف المنهج الكمي هو الاختبار والقياس الكمي، وهدف المنهج الكيفي هو الفهم والتأويل الكيفي، فإنه بالنتيجة يمكن ملاحظة أن كليهما سيختار مناهجه وتقنياته وأدواته ويبنيها انطلاقا من خصوصيته المعرفية والمنهجية تلك ومن أهدافه في البحث.

3. كيف يتميز الكم عن الكيف بحثيا؟

يمكن تسجيل عناصر الفرق التالية انطلاقا من مسار البحث ككل:

- على المستوى الانطولوجي: بالنسبة للمنهج الكمي نتكلم عن الواقعية، بينما نتكلم عن النسبية بالنسبة للمنهج الكيفي،

- على مستوى الأهداف: يمكن القول إن هدف المنهج الكمي هو البحث في متغيرات موضوعية وملموسة وعلى أساس موضوعي. بينما بالنسبة للكيفي فيبحث في متغيرات ذاتية، أي من الذات إلى الموضوع وصولا إلى الذات في النهاية، أي الفهم والتأويل،

- يهدف كذلك المنهج الكمي إلى اختبار الأسباب والوقائع، بينما يبحث المنهج الكمي في المعاني،

- يختبر المنهج الكمي علاقات المتغيرات وارتباطاتها، بينما ينصب اهتمام الكيفي على بناء النظرية ووصف الظواهر، وهذا ما يجعله يبدو أكثر ارتباطا بالدراسات الاستطلاعية من الدراسات الكاملة،

↙ تستخدم مناهج الكم التجريب والاستمارة والتحقيق الميداني..، بينما يستخدم الكيف المقابلات بالمشاركة ونصف الموجهة والجماعات البؤرية والمقابلات الشخصية والملاحظة بالمشاركة..،

- عينات الكم تقوم على السحب الحسابي، وهذا ما يناسب مجتمع كبير الحجم وعينات كبيرة الحجم، تناسبه بذلك العينات الاحتمالية. بينما نجد العينات غير الاحتمالية هي ما يناسب الكيف أكثر، وهذا ما يناسب كذلك مواضيع محدودة الأسئلة، والعينات صغيرة الحجم التي تختار بانتقائية وبقصد بما يخدم موضوع البحث،

- بالنسبة لتحليل المعطيات في المنهج الكمي يكون التحليل بقراءة البينات الرقمية المحصلة، والمقارنة فيما بينها تمهيدا لبحث دلالتها السوسيولوجية للوصول إلى استنتاجات، بينما يركز التحليل الكيفي على استنباط معاني ودلالات المعطيات الكيفية مرورا بالفهم ووصولا إلى التأويل،

- تقدم نتائج المنهج الكمي إحصائيا، بينما تقدم نتائج الكيفي لغويا في عبارات ومعاني مدروسة،

- نتائج الكمي هي اكتشاف للحقيقة، بينما بالنسبة للكيفي فالنتائج يوضحها التأويل الذي يقدمه الباحث للمعطيات الكيفية ما يجعلها مجرد تأويلات قد لا تعكس الحقيقة كما هي فقد تختلف التأويلات.

4. أهمية المتغيرات في الكم والكيف

يبنى موضوع البحث، إشكاليته، وفرضياته على متغيرات محددة وبعلاقة متغيرات محددة، فبداية من سؤال الانطلاق وصولا إلى الاستنتاج، المتغيرات هي ما يحدد الموضوع، تحليله، تركيبه واستنتاجه؛ فبدون متغيرات إذن لا يمكن قيام أي بحث يذكر.

بشكل عام يمكن تحديد عناصر أهمية المتغيرات كما يلي:

- تحدد مجال الدراسة النظرية لموضوع البحث، وتدرس متغيراته وعلاقتها ببعضها نظريا قبل أن تدرس ميدانيا،

- تبني المتغيرات تقنيات البحث وأدواته: فبعد تحليل المفهوم من مفهوم إلى أبعاد ثم مؤشرات، يصبح بمقدور الباحث الانطلاق في بناء هذه التقنيات وهذه الأدوات البحثية بكل سهولة وبالشكل المناسب والمطلوب. فأسئلة الاستمارة كما دليل المقابلة ودليل الملاحظة وفئات التحليل في تحليل المحتوى، جداول البيانات.. تبنى انطلاقا من هذا التحليل.

- تحديد مجال البحث ميدانيا ومجال جمع المعلومات المناسبة؛ فمن خلال عملية تحليل المفاهيم التي تسمي المتغيرات أي:

مفهوم↔ أبعاد ↔ مؤشرات

وبعد بناء تقنيات البحث وأدوات جمع المعلومات، كما أسلفنا، يصبح بمقدور الباحث النزول إلى الميدان وجمع المعلومات المناسبة.

- تسمح بالتحقق وبالقياس والاختبار والمقارنة.

المحاضرة الثامنة: المنهج الكيفي

1. المفهوم:

في الحقيقة هو نوع من المقاربة، أو هو بحث أو حتى مجموعة مناهج أكثر منه منهج بحث، تحكمه شروط ابستمولوجية وأخرى منهجية تتحد بالنظرية وبالواقع المراد دراسته. ينطلق الكيف من الذات إلى الموضوع؛ فيمر من الفهم حيث يحدد المستجوبون ما الذي تعنيه بالنسبة لهم أفعالهم، ليصل إلى التأويل الذي يحاول من خلاله الباحث بناء معرفة سوسيولوجية.

يتحدد "المنهج" الكيفي أو "المناهج" الكيفية.. بنظرية وبواقع، ويبني متغيرات تسمى متغيرات كيفية غير حسابية إسمية وترتيبية.

2. مناهجه البحثية:

. المنهج التاريخي:

. منهج دراسة الحالة:

3. تقنيات جمع البيانات:

. الملاحظة المباشرة وهي ملاحظة مشاركة في الغالب كما في البحوث الأنثروبولوجية خاصة، أو ذات الطبيعة السوسيوأنثروبولوجية،

. المقابلة، مقابلات نصف موجهة في الغالب ومقابلات الجماعات البؤرية،

4. أهمية متغيرات الكيف:

لمتغيرات البحث الكيفي أهميتها البحثية التي يمكن تحديدها كما يلي:

. تحديد مجال البحث الكيفي، موضوعه، إشكاليته وفرضياته،

. تسمية الظواهر الاجتماعية والتعبير عنها بشكل مناسب تمهيدا لدراستها كيفيا،

. تحدد العناصر المكونة لمتغيرات البحث بما يسمح بتحليلها كيفيا،

. تبني تقنيات وأدوات البحث التي بواسطتها يتم دراسة الموضوع إمبريقيا من خلال الوثائق والنصوص أو من خلال التحقيق مع المبحوثين الأفراد والجماعات،

. تبني التحليل على أسس كيفية تأويلية انطلاقا من فهم معاني الفعل لدى الفاعلين المبحوثين، وتأويل الباحث لذلك سوسيولوجيا للوصول لاستنتاجات عميقة حول الحالة أو الموضوع المدروس بذاته.

5. أهمية متغيرات الكيف:

متغيرات لغوية أي غير رقمية، وتنقسم إلى نوعين:

. متغيرات كيفية إسمية: وهي غير قابلة للترتيب، مثلا الحالة الاجتماعية: أعزب، متزوج، مطلق..

. متغيرات كيفية رتبية: وهي قابلة للترتيب، مثلا درجة الرضا الوظيفي: راض جدا، راض، غير راض.

المحاضرة التاسعة: المنهج الكمي

المنهج الكمي، المناهج الكمية، هو ما تم الدعوة إلى توظيفه منذ البداية لضمان تطوير علم الاجتماع وتحقيق الدقة المناسبة لنتائجه. لقد دعت الوضعية إلى استخدام مناهج العلوم الطبيعية في علم الاجتماع تيمنا بتحقيق هذه العلوم لطفرات من التطور وبالنظر لدقة نتائجها، وهذا ما كان بالنسبة للوضعين نموذجا يحتذى. لقد تطورت المطالبة بذلك مع حلقة فيانا والوضعية الجديدة، وقد ظهر تطبيقيا على يد مجموعة من العلماء مبكرا كما في دراسة الانتحار ل: دوركايم، والسلوك الانتخابي ل: بول لازارسفيلد.

1. مفهومه:

نفس الملاحظة يمكننا إذن أن نتكلم عن مناهج كمية، أو أساليب وتقنيات كمية أكثر من تكلمنا عن منهج كمي. إن عبارة منهج هنا تكتفي بكونها تحمل طابعا توجيهيا لما ستكون عليه هذه الأساليب وهذه التقنيات والأدوات. هناك مقاربات متعددة إذن للموضوع من منطلق بحث كمي، مناهج كمية أو منهج كمي في كل الحالات يمكننا تجاوز هذا الإشكال باعتبار أن ما يمكن تسميته بمنهج كمي هو في الأساس ما يستخدم الكم والمتغيرات الكمية والقياس الكمي في اختبار علاقة المتغيرات البحثية للوصول إلى استنتاجات علمية. فهو ينطلق من متغيرات كمية، معطيات كمية مرورا بتحليل كمي، ليصل إلى استنتاجات سوسيولوجية تكون قابلة للتعميم على الظواهر والموضوعات المشابهة.

2. أهم مناهجه في علم الاجتماع:

. التجريبي،

. المسح الاجتماعي.

3. أهم تقنيات جمع البيانات:

. ملاحظة السجلات الرقمية،

. الاستمارة

4. متغيراته:

للمتغيرات الكمية في دورا مهما يمكن تحديده كما يلي:

. تحديد الموضوع على مستوى سؤال الانطلاق والإشكالية، وفي الفرضيات تحديدا وتحليلا،

. تحليل الموضوع انطلاقا من المفاهيم وصولا للمؤشرات القياسية،

. الاختبار والقياس والتحليل،

. التركيب والاستنتاج ثم التعميم والتنبؤ،

متغيراته رقمية حسابية، تتشكل من الأعداد ومن القيم. وهي نوعين كذلك:

. متغيرات كمية منفصلة: وتتمثل في قيم رقمية غير قابلة للتفصيل، متباعدة وغير انقسامية. مثل عدد الأولاد، عدد التلاميذ. فتحسب مثلا 3.2.1 المجموع ثلاثة أطفال. أي لا يمكن القول إن هناك طفل ونص أو طفل وربع هذه الأعداد لا تنقسم.

. متغيرات كمية متصلة: وتتشكل من أعداد تفصيلية، وتتصل فيما بينها بمجال أعداد. مثلا الوزن من 1 كلغ، و50 غرام..30 ملغ..5 كلغ. عمر تلاميذ الابتدائي مثلا: 6 سنوات و6 أشهر و7 أيام.. 12 سنة.

هكذا نلاحظ أن ما يميز المنهج الكمي عن الكيفي أو العكس هو طبيعة متغيراتهما، إضافة طبعا لنوعية المناهج المناسبة لكل منهما وللتقنيات المختلفة الخاصة بكل منهما.

المحور الثالث: أهم المناهج المطبقة في علم اجتماع

يتضمن هذا المحور محاضرات تتطرق إلى تصنيفات مناهج علم الاجتماع وإشكالياتها المتعلقة خاصة باختلاف التعريفات وتعدد التصنيفات والمضامين. فبالنسبة للتصنيفات نجد هناك تعدد يصل لحد الخلط أحيانا بين عناصر منهجية وبحثية لا يمكن وضعها في نفس الدرجة، يتعلق الأمر مثلا بالخلط بين مفهومي بحث ومنهج. كما هناك عدم دقة فيما يخص التعريف نتيجة عدم الدقة في تحديد الفرق بين مناهج البحوث الوصفية والسببية، وبين كون هذا بحث وهذا منهج، مثلا هناك عدة كتابات وأعمال، وهناك برامج دراسية تقدم موضوعات بمسمى منهج وصفي، بينما ما يتم تسميته بمنج وصفي هو في الحقيقة البحث الوصفي. فهناك البحث الوصفي الذي يتضمن مناهج وصفية، وبحث سببي يتضمن مناهج سببية أو مناهج البحث السببي.

المحاضرة العاشرة: مناهج علم الاجتماع: تصنيفات وإشكاليات

هناك عدة تصنيفات إشكالية للمناهج، كما هناك عدة مناهج يمكن للباحث اختيار المناسب لبحثه منها بناء على شروط ابستمولوجية ومنهجية تحكم هذا الاختيار، فإذا كان اختيار المنهج تحدده الشروط الابستمولوجية، فإن بناء المنهج وتنفيذ البحث بواسطته تحكمه شروط منهجية خاصة. على أن الشرطين الابستمولوجي والمنهجي يتدخلان ويتداخلان في كل العملية، اختيارا وبناء وتنفيذا، بما يحقق مبدأ الصرامة العلمية في كل مرحلة من مراحل البحث، وفي كل عنصر من عناصره.

1. تصنيفات شائعة للمناهج:

يمكننا أن نطالع، على سبيل المثال وليس الحصر، في كتب ومقالات تخص مناهج البحث السوسيولوجي عدة تصنيفات للمناهج، نلاحظ في كتب شهيرة مثل كتاب مادلين

غرافيتز المعنون ب" مناهج العلوم الاجتماعية: منطق البحث في العلوم الاجتماعية" الذي تقترح فيه تصنيفا يتضمن المناهج التالية[1]:

.المنهج المقارن

.المنهج التاريخي

.المنهج التكويني

.المنهج الوظيفي

. البنيوية

.التحليل النظامي

.المنهج الجدلي

يشترك هذا التصنيف مع التصنيفات السابقة في عدم وضوح الحدود بين الجانب الفلسفي للمنهج، والجانب التطبيقي البحثي. فعندما نتكلم عن البنيوية والجدلية والتكوينية..، نحن نتكلم عن الجانب الفلسفي المرتبط بالمنهجية النظرية، أي بجانب التوجيه النظري التصوري للمنهج، وليس عن المنهج التطبيقي الذي يتم به البحث عمليا.

كما يمكننا أن نقرأ في كتاب موريس أنجرس المعنون ب: "منهجية البحث العلمي في العلوم الإنسانية" عن تصنيفات المنهج في ثلاثة مناهج نموذجية كما سماها، هي المنهج التجريبي، المنهج التاريخي و منهج التحقيق الميداني[2].

1 مادلين غراويتز، مناهج العلوم الاجتماعية: منطق البحث في العلوم الاجتماعية ، الكتاب الثاني، ط1، المركز العربي للتعريب والترجمة والتأليف والنشر ، دمشق، 1993، ص98-129

2 انظر: موريس أنجرس، منهجية البحث العلمي في العلوم الإنسانية: تدريبات عملية، ط2، دار القصبة للنشر، الجزائر، 2006، ص102.114

لكن يبدو أن من أهم الكتب المعروفة في الجامعات العربية بشكل عام، وحتى في الجزائر تحديدا، بالنظر لأهميتها هنا خاصة فيما يتعلق بذكرها لتصنيفات متعددة للمناهج، نجد على سبيل المثال كتاب أحمد بدر المعنون ب:" أصول البحث العلمي ومناهجه" ، الذي يقدم لنا قراءة مختصرة عن تعدد المناهج. ويمكن ذكر هذه التصنيفات المختلفة دون أي تغيير في بنية النص أو اللغة كما يلي[1]:

- تصنيف هويتني:

يورد هويتني Whitney F. L في كتابه المعنون بعناصر البحث " The elements of research" والصادر عن الناشر Prentice Hall سنة 1950 في طبعته الثالثة، تصنيفه للمناهج كما يلي:

* المنهج الوصفي: ويتم حسبه من خلال المسح، دراسة الحالة، تحليل الوظائف والنشاطات، وصف تتبعي أي على مدى فترة طويلة بصفة مستمرة. البحث المكتبي والوثائق: وهدفه حسبه هو المقارنة والتحليل والتفسير بهدف صياغة التعميمات الممكنة، ويتم ذلك بعد جمع الحقائق والمعلومات المناسبة.

* المنهج التاريخي: ويقوم على حصر الوثائق، نقدها..، التحليل والتركيب بما يمكن من التفسير.

* المنهج التجريبي: يقوم على التجربة والاختبار

* البحث الفلسفي: تتمثل قيمته حسبه خاصة في تحديد أهداف البحث وعند التعميم في النهاية. ويتعلق الأمر هنا بعلاقة البحث العلمي بالبحث الفلسفي حسبه وعلاقة النظرية بالوقائع.

1 انظر: أحمد بدر، أصول البحث العلمي ومناهجه، ط6، وكالة المطبوعات عبد الله حرمي، الكويت، 1986، ص233.252

* البحث التنبؤي: هدفه التنبؤ بالمستقبل بقراءة الوقائع التاريخية أو بالتجريب أو غير ذلك.

* البحث الاجتماعي: ونقرأ على هذا المستوى تقريبا هدفا وطريقة عمل نفسها التي حددها بالنسبة للبحث التنبؤي.

* البحث الإبداعي: ويهتم بالإبداع المتصل بالفن والأداب والعلوم..

ملاحظات ونقد على هذا التصنيف:

هذا التصنيف يخلط بين البحث والمنهج، فالمنهج ليس هو البحث والبحث ليس هو المنهج. البحث هو مسار علمي يتضمن أفعال ومراحل مختلفة تبدأ من سؤال الانطلاق وتنتهي بصياغة الاستنتاجات. وكل مرحلة من هذه المراحل أو فعل من هذه الأفعال تتضمن عناصر تصورية وتنفيذية، و المنهج هو عنصر من هذه العناصر الأكثر أهمية في التحقيق والاختبار. إذن البحث هو هذا الكل، والمنهج هو هذا العنصر من عناصر تنفيذ هذا المسار و الوصول به لنهايته.

• تصنيف ماركيز:

يورد ماركيز "D.Marquis " بدوره تصنيفا سداسيا للمناهج في كتابه : "المنهجية العلمية في العلاقات الإنسانية Scientific Methodology in Human Relations" والذي صدر سنة 1950 بدوره، عن" Mc Graw-Hill ". وذلك كما يلي:

* المنهج الأنثروبولوجي: وهو منهج حسب ماركيز يستند إلى وضع الفرضيات واختبارها بناء على الملاحظة الميدانية.

* المنهج الفلسفي: ويقوم حسبه، ووفق ما أورد أحمد بدر في كتابه المذكور، على صياغة الفرضيات للوصول إلى التعميمات النظرية الممكنة.

* منهج دراسة الحالة: يقوم على الملاحظة حسبه، وهو مهم في الحصول على البيانات ومقارنتها حسبه كذلك.

* المنهج التاريخي: ويصفه على أنه تطبيق للنظرية على وقائع الماضي أساسا.

* المسح: ويعتبر أن هذا المنهج لا يهتم كثيرا لوضع الفروض، وإن أمكننا حسبه تعميم النتائج المحققة بواسطته.

* المنهج التجريبي: ويقوم أساسا على الفرضية، ويرى أنه محدود الفائدة في الدراسات والبحوث الاجتماعية.

ملاحظات ونقد على هذا التصنيف:

نفس الملاحظات تقريبا مع التصنيف السابق، هناك خلط بين المنهج والبحث، أو حتى بين مفهوم منهجية كمجموعة من المبادئ الابستمولوجية والتصورية، والأدوات التنفيذية للبحث، والمناهج العلمية المطبقة في علم الاجتماع. تصنيف منهج فلسفي، منهج انثروبولوجي هو خروج عن منطق التصنيف المقصود هنا، أي المناهج العلمية المطبقة بحثيا في علم الاجتماع.

• تصنيف جود و سكيتس :

لجود وسكيتس " Good Carter. V and Scates Douglas. E تصنيف قريب من التصنيفات السابقة، ورد في كتابهما منهج البحث التربوي والبسيكولوجي والسوسيولوجي" Method of research, Educational, Psychological, Sociological" الذي صدر سنة 1954. وهو كما يلي:

* منهج تاريخي،

* منهج وصفي: يقوم على الوصف والتحليل والتصنيف حسبهما،

* مسح وصفي: جمع البيانات، الاستبيان والمقابلة، الملاحظة، التقييم، تحليل المحتوى، الجماعات الصغيرة.

* منهج تجريبي،

* منهج دراسة الحالة والدراسات الإكلينيكية،

* دراسات النمو والتطور والوراثة.

ملاحظات ونقد على هذا التصنيف

هناك كذلك خلط مفاهيمي وتصنيفي يتجاوز المطلوب من التصنيف والتعريف بالنسبة لمناهج علم الاجتماع.

2. تصنيف مقترح:

يمكننا انطلاقا من النقد الموجه للتصنيفات السابقة، أن نقترح التصنيف التالي لتجاوز هذه الإشكاليات، وهذا التصنيف يستند إلى التصنيفات المتعلقة بالمناهج المطبقة فعليا في علم الاجتماع، وليس بالتصنيفات الفلسفية والتأسيسية، وتلك التي لا تفرق بين مناهج العلوم المختلفة في ارتباط جدلي بالمفاهيم والمسميات، و بالإشكاليات الفلسفية المعروفة وعلاقة الفلسفي بالعلمي.

* المنهج التجريبي:

* المنهج التاريخي:

* منهج المسح الاجتماعي:

وهو من أهم مناهج علم الاجتماع المطبقة على الرغم من بعض الاختلافات فيما يخص التصنيفات بين من يصنفه كمنهج كامل، ومن يصنفه كأسلوب داخل المنهج الوصفي. لكن عديد التصنيفات تصنفه كمنهج كامل، فضلا عن الاختلاف القائم أصلا حول ما إذا كان فيه منهج يسمى وصفي. الأمر لا يتعلق بوجود هذا المنهج أو ذاك من عدمه، وإنما هناك مشكل تسميات فقط وتصنيفات، فما نقوم به في الواقع هو المسح وليس الوصف، أي ليس الوصف فقط وإنما التفسير كذلك، على الرغم من إشارة البعض إلى أن المنهج الوصفي يستهدف كذلك التفسير. ومنهج المسح الاجتماعي يتم بطريقتي المسح الشامل أو المسح بالعينة.

* منهج دراسة الحالة:

يشترك في نفس الإشكاليات التعريفية والتصنيفية للمسح الاجتماعي، لكنه يختلف عن المسح في كونه منهج بمجال دراسة محدد لكن متعمقة.

المحاضرة الحادية عشر: المنهج التجريبي

يعتبر المنهج التجريبي أحد مناهج البحث العلمي بشكل عام، والبحث السوسيولوجي في مجالات دراسة معينة ومواضيع دون غيرها، فهو على خلاف مناهج أخرى قد يجد إلى تطبيقه على المجتمع نفس المجال المتاح لهذه المناهج، يتعلق الأمر هنا خاصة بالدراسات الماكروسوسيولوجية أكثر من الميكرو سوسيولوجية. وبالرغم من محاولة تكييفه لموضوعات السوسيولوجيا، مجموعات التجريب، فإنه يضل غير قابل للتوظيف إلا على مستوى الدراسات الميكروسوسيولوجية وفي موضوعات بعينها دون غيرها، خاصة في التربية وجماعات العمل..

لقد دعت الوضعية في علم الاجتماع منذ البداية إلى استخدام المنهج التجريبي بدعوى تحقيق مزيدا من التطور لعلم الاجتماع ولضمان دقة نتائجه، واقتداء بالعلوم الطبيعية ونجاحاتها

التي حققتها بفضله، وهذا ما صرف الكثير من الاهتمام للبحث عن حل لمسألة التجريب على الانسان وعلى المجتمع الإنساني، وقد حققت هذه الجهود نتائجا مهمة. لكن بالمحصلة يضل هذا المنهج الأقل استخداما في البحث السوسيولوجي وإن كانت نتائجه هي الأكثر دقة.

1. المفهوم:

ويمكن اعتباره " أب" المناهج العلمية، فلقد كان مثالا نموذيا يحتذى به في طوير مناهج العلوم الاجتماعية والإنسانية لما حققه من نتائج في العلوم التجريبية ، فضلا عن محاولات تكييف وتطوير للمنهج ذاته ليصبح مناسبا للبحث في هذه العلوم.

" ويهدف إلى إقامة العلاقة التي تربط السبب بالنتيجة بين الظواهر أو المتغيرات.."[1]

هو أحد أهم المناهج في البحوث العلمية، ومنها علم الاجتماع والذي يستخدم الملاحظة والتجربة والافتراض للوصول إلى استنتاجات وأحكام علمية قابلة للتعميم. وهو يطبق في علم الاجتماع بطريقة خاصة، أي طريقة المجموعات، المجموعات التجريبية والمجموعات الضابطة، وتحديدا في الدراسات الميكروسوسيولوجية.

2. أهدافه:

. الاختبار: ولأن متغيراته قابلة للاختبار والقياس، فإنه لا يبحث في المعاني الذاتية، وإنما في المؤشرات الموضوعية وفي الظواهر الخارجية التي بالإمكان إخضاعها للملاحظة والتجريب،

. الاستنتاج: القابلية للاختبار ترتب قابلية للاستنتاج بالنظر لدقة الاختبار وأدواته المختلفة التي تم بها،

. التعميم: ويتم في حدود مناسبة على الظواهر المشابهة انطلاقا من نفس التجربة ونفس الاستنتاج،

1 موريس أنجرس، المرجع السابق، ص102

. التنبؤ: بالنظر لدقة النتائج نسبيا فإنها كذلك تتيح زيادة على التعميم إمكانية التنبؤ بمستقبل الظاهرة المدروسة.

3. عناصره:

. الملاحظة: وهي ملاحظة بهدف تحديد فرضيات مناسبة،

. الفرضية: تتضمن متغيرات قابلة للقياس بالملاحظة وإحصائيا،

. التجربة والملاحظة: وتتم على المجموعة التجريبية مقابل اتخاذ مجموعة أخرى كمجموعة شاهد أو ضابطة، فندخل العامل التجريبي على الأولى ونلاحظ ما سيحدث بالمقارنة مع المجموعة الثانية،

. الاستنتاج: ويتم لتحديد طبيعة التأثير وما إذا كانت هناك أصلا علاقة.

4. كيف يستخدم في علم الاجتماع:

بعد تحديد مجموعات التجربة من خلال العينات المناسبة، ليصبح لدينا مجموعتين إحداهما تسمى تجريبية وهي التي يدخل عليها المتغير المستقل، والأخرى ضابطة لا يدخل عليها هذا المتغير، وهي التي تتخذ كشاهد للمقارنة مع ما يمكن أن يحدثه المتغير المستقل في المجموعة التجريبية، وما إذا كان فعلا هو المتغير المستقل المؤثر.

ويتم ذلك كما يلي:

. عزل الظروف الممكنة التأثير على سريان التجريب، ويتم ذلك كذلك بتحضير ظروف مناسبة ومتشابهة لمجموعات التجريب وللمجموعات الضابطة أو الشاهدة،

. تحديد المجموعة التجريبية، أو المجموعات التجريبية من المجموعات الضابطة،

. إدخال المتغير المستقل على المجموعة التجريبية فقط،

. ملاحظة التغيرات الممكنة على المجموعة التجريبية بالمقارنة مع الضابطة،

. التحليل والمقارنة بين المجموعتين من خلال البناء على التغيرات التي ظهرت على المجموعة التجريبية ولم تظهر مثلا على المجموعة الضابطة،

. الاستنتاج الذي به يتحدد ما إذا كان للمتغير المستقل تأثير ما في المتغير التابع أم لا، ثم تعميم ذلك على الظواهر المشابهة.

المنهج التاريخي:

ويقوم على." إعادة بناء الماضي بدراسة الأحداث الماضية، معتمدا في الأساس على الوثائق والأرشيف"[1]

هدف هذا المنهج إذن هو دراسة وقائع الماضي وليس الحاضر، وهذا ما يتم من خلال تقنيات متعددة مناسبة مثل المقابلة، وتحليل محتوى النصوص والوثائق واستنطاق الشواهد المادية وغير المادية.

المحاضرة الثانية عشر: منهج المسح الاجتماعي

المسح الاجتماعي هو أحد أهم مناهج علم الاجتماع وأكثرها استخداما، مع ملاحظة أنه يستخدم تحت مسمى أسلوب بحث لدى البعض. فهو يصنف في الكثير من التصنيفات كمنهج، لكنه في تصنيفات معينة، ربما محدودة نسبيا، يصنف كأسلوب بحث ضمن ما يعرّفونه على أنه منهج وصفي.

1. التعريف:

هو منهج كمي لدراسة الظاهرة الاجتماعية كما هي عليه في الوقت الراهن، بتوظيف تقنيات بحث وأساليب إحصائية وأدوات مناسبة مثل الاستمارة والملاحظة خاصة.

1 موريس أنجرس، المرجع السابق ، 105

2. خطواته:

كغيره من المناهج له عناصره الخاصة التي يتم توظيفه من خلالها، وهي كما يلي:

. تحديد الطريقة المناسبة للتحقق، مسح شامل لكل مجتمع البحث في حال كان ذلك ممكنا، كأن يكون مجتمع البحث صغيرا بشكل يمكن التحكم فيه بحثيا، أو مسح بالعينة عندما يكون مجتمع البحث كبير الحجم غير ممكن الدراسة و التحكم.

. في حال اختيار طريقة العينة ينبغي اختيار العينة المناسبة، وبنائها بشكل مناسب.

. اختيار تقنيات البحث المناسبة وبنائها بشكل مناسب كذلك، انطلاقا من التحليل المفهومي لمتغيرات الفرضيات. تقنياته الشهيرة هي الاستمارة خاصة والملاحظة غير المباشرة مثلا من خلال السجلات..

. النزول للميدان للتحقق بشكل مباشر من خلال تقنيات البحث المختارة،

. تحليل المعطيات المتحصل عليها بعد تنظيمها وعرضها بأدوات مناسبة،

. الاستنتاج: وتتم من خلاله الإجابة عن سؤال الانطلاق مرورا بالإجابة عن أسئلة الإشكالية، ويتحدد به صدق الفرضيات من عدمه. هذا ما يسمح كذلك بتعميم مناسب بمستوى ما على الظواهر والمجتمعات المشابهة مقارنة بالمنهج التجريبي.

3. تقنياته:

يستعمل المسح الاجتماعي عدة تقنيات أهمها ما يلي:

. الاستمارة،

. الملاحظة.

المحاضرة الثالثة عشر: منهج دراسة الحالة

مثله مثل المسح الاجتماعي، هو منهج مهم بحثيا للتحقيق التتبعي والميداني المعمق حول الحالة. يصنفه الكثيرون كمنهج قائم بذاته، بينما يرى آخرون أنه مجرد أسلوب بحث ضمن ما يسمى بمنهج وصفي إلى جانب المسح الاجتماعي.

1. التعريف:

المقصود بالحالة في علم الاجتماع هو مجموعة أو كيان مثل مؤسسة، قبيلة، نظام تربوي أو سياسي، أزمة، أسرة أو مجتمع ككل..، وحسب الموضوعات يمكن أن نقول الحالة الجزائرية مثلا. ففي موضوع مثل عمل الأطفال في الوطن العربي، يمكن أن ندرس حالة الجزائر ونسميها حالة مقارنة بالحالة التونسية، المصرية..

إن ما يشكل ما يسمى بحالة هو مقارنة ذلك بحالات عدة متشابهة أو تشكل وحدة موحدة، لكن يتم تناول حالة واحدة منها بهدف التعمق والاستقصاء الدقيق لجوانب محددة، ولحاضر وتاريخ الحالة، وهذا غير ممكن في حالة منهج المسح الاجتماعي الذي في الغالب يكون شاملا لكن لجوانب متعددة من الموضوع لكن بشكل سطحي نوعا، وموضوعه الوقت الراهن فقط. تدرس الحالة المختارة بشكل معمق راهنا وتاريخيا، وفق خطوات محددة، وبتقنيات مناسبة، بهدف الوصول إلى استنتاجات ممكنة التعميم على الحالات المشابهة، لكن التعميم هنا غير ممكن بنفس المقبولية التي تميز نتائج المسح الاجتماعي.

2. الخطوات:

. تحديد الحالة التي ستدرس، طبعا بعد تحديد الموضوع الذي يعطيها صفة الحالة هذه، وهذا ما يتحقق في مراحل بحثية مختلفة.

. تحديد التقنيات والأدوات المناسبة لجمع المعلومات حاضرا وماضيا، والتي ينبغي أن تكون ثرية ومعمقة،

. جمع المعطيات بشكل مكثف، دقيق، متنوع وتفصيلي حول الحالة موضوع الدراسة.

هذا ما يمكن الباحث من التحليل بأريحية والتفسير المناسب.

3. تقنياتها:

ولأنه منهج كيفي أكثر منه كمي، أو هو أقرب للكيف من الكم مقارنة بالمسح الاجتماعي وبالتجريب، فإنه قد يتضمن أساسا التقنيات الأتية:

. المقابلة،

. المقابلة البؤرية،

. الملاحظة بالمشاركة خاصة.

المحاضرة14: الإحصاء في علم الاجتماع

يعتبر تطبيق الإحصاء في دراسة الظواهر الاجتماعية أحد أهم إنجازات علم الاجتماع، وهذا ما اشتغل عليه الكثير من المتخصصين والمنهجيين لمدة طويلة قد تعتبر حلقة فيانا التي بشرت بما يسمى بالوضعية الجديدة، أو الوضعية الرقمية، أهم من أسس لذلك.

1. ماذا نعني بالإحصاء في علم الاجتماع

لقد عملت "حلقة فيانا"[1]* على تطوير استخدام التكميم في العلوم الاجتماعية تماشيا مع التطور الذي أصبح المنهج العلمي يتطلبه لتحقيق نتائج تقارب في دقتها تلك التي تحققها العلوم الطبيعية.

لقد طرحت مسألة التكميم واستخدام الإحصاء كما لو أنها حل مثالي لمنهجية هذه العلوم، لكن كيفية موضوعات هذه العلوم (من كيفي كمي)، وتأخر تكميمها بالنظر لخصوصيتها، لم يكن ليسمح بتحقيق النتائج المرجوة في البداية على الأقل كما أن الأسئلة المهمة ذات الصلة بالتكميم والعلوم الاجتماعية لازالت تطرح في كثير منها وباستمرار، بالرغم من التطور الكبير في مجال الإحصاء الاجتماعي وتطبيقاته المحوسبة. إذن أين يقع الخلل؟ هل في العلوم الاجتماعية ذاتها؟ أم في الإحصاء والاحصاء الذي تطور في حقول معرفية أخرى أكثر من تطوره في هذه العلوم؟ أم أن المشكل بالأساس هو مشكل المختصين وعلماء الاجتماع والباحثين؟ الذين يرفض بعضهم التكميم، بينما يطبقه البعض الأخر دونما اهتمام بعلاقة الاحصائي بالاجتماعي والسوسيولوجي.

---

[1]* تشكلت حلقة فيانا بفعل اجتماع مجموعة من المختصين، والمهتمين بالبحث عن إمكانية تكميم العلوم الاجتماعية، وقد أدى عملهم إلى بروز ما يسمى بالوضعية الجديدة القائمة على تكميم هذه العلوم.

بشكل عام الإحصاء تطور كثيرا في علم الاجتماع وهو يطبق بشكل كبير في عدد من تخصصات علم الاجتماع أكثر من الأخرى، في مجال علم اجتماع السكان مثلا، كما يطبق كأساليب وأدوات عد ووصف واستدلال من خلال بعض مناهج علم الاجتماع كمنهج المسح الاجتماعي الذي هو منهج كمي.

بالمحصلة نلاحظ بشأن ذلك ما يلي:

. يشكل الإحصاء أساس منهجية تخصصات سوسيولوجية أكثر من الأخرى، علم اجتماع السكان مثلا.

. يطبق الإحصاء من خلال مناهج سوسيولوجية دون الأخرى، مثلا منهج المسح الاجتماعي. وتقنيات دون الأخرى الاستمارة مثلا، والملاحظة غير المباشرة على السجلات..

. أصبح لدينا إحصاء متخصص يسمى الإحصاء الاجتماعي، وتطبيقات محوسبة تسهل كثيرا من استغلاله في البحث بكثافة وبأكثر دقة وثقة.

. دون الإحصاء الاجتماعي مجموعة عوائق ابستمولوجية ومنهجية قد تؤثر على تطبيقه. لكن قد يكون الأمر متعلقا بالباحث نفسه في تحيزه وعدم قدرته على ربط عناصر معادلة الإحصاء الاجتماعي وهي المجتمع، علم الاجتماع، الاحصاء والتحليل الاحصائي.

2. التحليل الإحصائي في علم الاجتماع

التحليل الاحصائي لبعض الظواهر الاجتماعية مهم جدا للدقة وللتفسير وصياغة نتائج مقنعة. هناك نوعين من المعطيات الإحصائية التي يجب أن يجمعها الباحث ويبوبها وينظمها حسب موضوعه، ويبني بالتالي عليها نتائجه.

- هناك معطيات إحصائية غير مباشرة مثل السجلات وبنوك المعلومات، وهنا نشير إلى مؤسسات تمتلك بنوك احصائيات ضخمة مثل الديوان الوطني للإحصائيات ONS، وهناك

سجلات الحالة المدنية، سجلات الشرطة والمحاكم وكل المؤسسات التي تقوم على شأن معين وتمتلك إحصائيات موثوقة، وتعتبر الملاحظة غير المباشرة هنا التقنية المناسبة لجمع المعطيات.

• لدينا كذلك المعطيات الإحصائية الميدانية، أي تلك المتحصل عليها بصفة مباشرة من خلال النزول للميدان، نشير هنا لسبر الآراء ميدانيا أو بواسطة الوسائل المتاحة، التحقيق الميداني عن طريق الاستمارة مثلا.

يمتلك الباحث السوسيولوجي العديد من الخيارات الممكنة والمناسبة لموضوعه، والتي يجب أن يختار من بينها ما يناسب موضوعه، وفي كلتي الحالتين يمكنه توظيف أساليب إحصائية وصفية واستدلالية متعددة بشكل مناسب:

* فهو يستخدم الإحصاء الوصفي، من خلال مقاييس النزعة المركزية والتشتت، في البحث الوصفي،

* لكن عندما يتعلق الأمر بالبحث السببي فإنه يستخدم الإحصاء الاستدلالي الذي يسمح له بالقياس والاختبار للعلاقات الممكنة بين متغيرات بحثه، و كيفما كانت هذه المتغيرات فإنه يملك ما يناسب كل منها من اختبارات ومعاملات ارتباط، نتكلم هنا عن نوعية المتغيرات ونوعية علاقاتها..

3. ما الذي يجب معرفته بشأن الإحصائيات والتحليل الإحصائي:

لقد اعتبر التحليل الإحصائي الأساس الذي تقترب به العلوم الاجتماعية بصفة عامة من الدقة والثقة المطلوبين، لكن بالمقابل فإن التحليل الإحصائي يمكن أن يفضي إلى تشويه كامل للحقيقة وذلك لسببين اثنيين يمكننا تحديدهما كما يلي:

• كثيرا ما تخدعنا دقة الأرقام الإحصاء، لكن ماذا لو كانت مجرد أرقام ومعادلات صحيحة رياضيا، لكن غير صحيحة سوسيولوجيا وانطولوجيا. هناك من الباحثين من يختفي وراء دقة التحليل الإحصائي المبني على الأساليب والتقنيات والمعاملات الإحصائية، لكن ذلك مجرد حقيقة رقمية وليس اجتماعية وليس سوسيولوجية، وبالتالي تعتبر النتائج صحيحة احصائيا لكن خاطئة سوسيولوجيا واجتماعيا.

• الكثير من السجلات الإحصائية، خاصة تلك التي تجمعها بعض المؤسسات، أو التنظيمات المتحيزة، أو تلك التي يتم فيها الاستعانة بجامعي معلومات غير مدربين بما يكفي، أو غير موثوقين، تفتقد بشكل متناسب إلى الدقة الإحصائية والسوسيولوجية والاجتماعية معا.

إن استخدام الإحصاء، وتوظيف التحليل الاحصائي، يعتبر عمليا أمرا تقنيا جد سهل بالنسبة للمتدربين على ذلك، لكن الأمر الصعب والمعقد هنا هو سوسيولوجية هذه الإحصائيات وانطولوجيتها، وهذا ما يمثل بالنسبة للباحثين، السوسيولوجيين خاصة، عائقا ابستمولوجيا معقدا يحد من قدرتهم على التحليل و حماسهم لتوظيف هذه الاحصائيات.

4. خمس خطوات للتحليل الإحصائي:

يمكن عرض خمس خطوات للتحليل الاحصائي لبيانات الفرضية الاستنتاجية تحديدا، كما نوردها هنا حرفيا كما في المرجع المشار إليه[1]:

الشكل: مراحل التحليل الاحصائي

1.تحديد البيانات المقصودة واختيار العينة ⟸ 2. جمع الاحصائيات المقصودة

3.فهم الاحصائيات التي تم جمعها ⟸ 4.التصرف في هذه الاحصائيات

⟸5.تحليل البيانات الإحصائية لأجل إثبات أو رفض الفرضيات.

[1] François Dépelteau, op.cit., P366

تشكل هذه المراحل معا كلا تحليليا مترابطا ومتبادل التأثير، يصبح التحليل الاحصائي ذا معنى إذن عندما يتم وفق هذه العلاقة الخطية والتبادلية:

الشكل رقم : هرم علاقة التحليل الاحصائي

المصدر: من إنجاز أستاذ المادة

يصور هذا الهرم طبيعة العلاقة بين الإحصاء والتحليل الإحصائي في البحث السوسيولوجي، وقاعدة معطياته الأنطولوجية مرورا بالسوسيولوجي الذي يحدد ماذا ولماذا وكيف..؟ لا يمكن أن يكون هناك تحليل إحصائي لظواهر مجتمعية مالم يكن ذلك مبنيا سوسيولوجيا ومحددا من حيث السؤال، الفرضيات والتحليل وصولا إلى الاستنتاج. كما لا يمكن للظواهر الاجتماعية أن تصبح موضوع دراسة سوسيولوجية إلا بعد تناولها سوسيولوجيا وفق مبادئ وشروط ابستمولوجية ومنهجية صارمة. في نفس فإن البحث السوسيولوجي بحاجة إلى أساليب تحقّق وتحليل دقيقة ومناسبة لبعض الموضوعات، وهنا يمثل الإحصاء والتحليل الاحصائي الحل في ذلك.

مراجع مهمة للتوسع:

. موريس أنجرس، منهجية البحث العلمي في العلوم الإنسانية: تدريبات عملية، تر: بوزيد صحراوي وآخرون، دار القصبة، الجزائر، 2006

. ريمون كيفي وفان لوك كمبنهود، دليل الباحث في العلوم الاجتماعية، مترجم ورقي وإلكتروني

. أحمد بدر، أصول البحث العلمي ومناهجه،

. سعيد سبعون، الدليل المنهجي في إعداد البحوث والرسائل الجامعية في علم الاجتماع، دار القصبة، 2012، الجزائر

.Benoit Gauthier et Isabelle Bourgeois S.D, **Recherche sociale : de la problématique a la collecte des données,** presse de l'université Québec

. François Dépelteau, **la démarche d'une démarche en sciences humaines : de la question de départ a la communication des données**, De Boeck, presse de l'université Laval, Québec, 2003

السداسي الثاني:

محاور السداسي وأهداف التكوين حسب عرض التكوين الرسمي:

اسم الوحدة: وحدة التعليم المنهجية

اسم المادة: منهجية وتقنيات البحث 2

الرصيد: 4

المعامل: 3

أهداف التعليم:

معارف أساسية في منهجية البحث السوسيولوجي وتقنياته

المعارف المسبقة مطلوبة

طريقة التقييم:

امتحان كتابي + مراقبة مستمرة

محتوى المادة:

محاور المادة: منهجية2

1. أنواع العينة وكيفية اختيارها
2. تقنيات جمع المعلومات: (الملاحظة، المقابلة، الاستمارة، دراسة حالة، تحليل المضمون، القياس السوسيومتري)
3. عرض وتبويب البيانات
4. التحليل الكمي والكيفي للبيانات
5. قواعد التوثيق والاقتباس.

أهداف التكوين

بعد تناولنا للمراحل الأولى لمسار البحث السوسيولوجي، مرحلتي القطع والبناء بما تتضمنانه من عناصر تأسيسية وإجرائية للبحث: سؤال الانطلاق، الاستكشاف، الإشكالية والفرضيات والمفاهيم، سنحاول في هذا الملخص التطرق للعناصر المتبقية ذات العلاقة بالتحقيق الميداني: المعاينة، التحليل والاستنتاجات. انطلاقا من عرض التكوين سيتم التركيز على العناصر الأكثر أهمية مع محاولة تكييفها وفق خصوصية مسار الطالب واحتياجاته المستعجلة خاصة في ظل مثل هذه الظروف، يتعلق الأمر تحديدا بالتمكن من العناصر التوجيهية والتكوينية الأساسية لإنجاز مذكرة تخرج ماستر، مع العلم من جهة أخرى أن الطالب قد تلقى في السنة الثانية ليسانس والسنة الثالثة عددا لا بأس به من المحاضرات والأعمال الموجهة حول هذه العناصر، أو على الأقل أغلبها. هكذا سنركز مباشرة على أهم العناصر المعرفية والتطبيقية بناء على تجاربنا السابقة كذلك لتحقيق هذا المطلب، وهذا ما يدعمه الاستفسار والتساؤل المستمر للطالب من خلال ما أتيح له في مادتنا هذه سواء بالنسبة لمنصة التعليم عن بعد الرسمية، أو من خلال منصة كلاس روم class room ، أو مجموعات الاتصال والنقاش تليغرام مثلا وواتس آب فضلا عن منصة الجامعة.

للإشارة هذه المعارف والعناصر التي ستنشر هنا ستحتاج إلى التدعيم والتعمق بواسطة القراءات والمناقشات أثناء الحصص المتاحة، لكن كذلك على مستوى المنصات والمجموعة المشار إليها، وهذا ما يعول فيه على التزام الطلبة واهتمامهم.

محتوى مادة منهجية وتقنيات البحث2:

يتضمن برنامج مادة منهجية وتقنيات البحث2 عدة محاور ومحاضرات بيداغوجية مهمة مواصلة لخطوات البحث التي تم التطرق إليها في السداسي الأول. بناء على عرض تكوين السنة أولى ماستر علم اجتماع التنظيم والعمل/ السداسي الثاني، لدينا خمسة محاور مهمة، أولها أنواع العينة وكيفية اختيارها، ثانيها متعلق بتقنيات جمع المعلومات من ملاحظة ومقابلة، استمارة، تحليل مضمون وسوسيومتري. أما المحور الثالث فيتم التطرق فيه إلى عرض البيانات وتبويبها، وفي المحور الرابع إلى التحليل الكمي والكيفي للبيانات، وفي الأخير لدينا منهجية التوثيق والاقتباس في المحور الخامس.

ما يمكننا أن نلاحظه بالنسبة لهذه المحاور أنها تخص الجانب الميداني من بحوث الطلبة ودراساتهم، وأن عرضها بهذا الشكل لا يعني أبدا أنها منفصلة عن بعضها، أو عما سبقها من مواضيع في السداسي الأول. فقد تم التطرق في السداسي الأول إلى مرحلتي القطع الابستمولوجي والبناء، وهما مرحلتين تأسيسيتين مهمتين لموضوع البحث، وذلك من خلال سؤال الانطلاق، الاستكشاف، الإشكالية، والنموذج التحليلي من فرضيات ومفاهيم. وفي السداسي الثاني إلى الإثبات الذي يتم، وفق تقسيم كيفي وكمبنهود، من خلال ثلاثة عناصر أساسية وهي المعاينة، التحليل والاستنتاج.

. هذا البرنامج هو برنامج عرض التكوين، وانطلاقا من مبدأ المرونة البيداغوجية، يمكن للأستاذ أن يعدله جزئيا متى بدا ذلك ضروريا، تحديدا بإضافة عناصر تبدو مهمة لإثراء أي محور من هذه المحاور. بعض العناصر المضافة ملونة باللون الرمادي في قائمة المحاور.

المحور الأول: العينات: مفهومها، أسس اختيارها، أنواعها، كيفية اختيارها واستخراجها، إشكالياتها

المحور الثاني:تقنيات البحث: المفهوم، أسس الاختيار، أنواعها: ملاحظة، مقابلة، استمارة، تحليل المضمون، سوسيومتري. إشكاليات الاختيار والتطبيق.

المحور الثالث:عرض البيانات وتبويبها

المحور الرابع:ا لتحليل الكمي والكيفي للبيانات: المفهوم، الإشكاليات والعلاقة، الكيفية والمضمون

المحور الخامس:التوثيق والاقتباس

مراجع مهمة للتوسع والاطلاع:

تشكل القراءات الواعية والمنهجية اليوم أساس التطور المعرفي للطالب، فبالنظر لتوسع مادة العلوم وتراكمها، تحديدا علم الاجتماع ومادة المنهجية، أصبح من المستحيل تغطية كل موضوعات عروض التكوين بشكل مفصل في مجرد مجموعة محاضرات غالبا محددة بالسداسي أو بالموسم الجامعي. لهذا يأتي جهد التعلم الذاتي والتوسع والتفصيل كجهد مستمر من الطالب ليواصل تعميق معارفه، وليتمكن من أدوات المعرفة والتعلم المهمة من نقاش ونقد..

لهذا على كل طالب، وكل باحث علم أن يطالع بشكل منظم وعلمي كل ماله علاقة بمادته الدراسية من كتب ومقالات ومحاضرات..، بتصنيف ذلك من الأهم إلى المهم، ومن مراجع أصلية إلى ثانوية أو مساعدة..

•مراجع عرض التكوين الرسمي أولى ماستر علم اجتماع التنظيم والعمل:

سأقدمها كما وردت في عرض التكوين:

جمال أبو شنب، أصول الفكر والبحث العلمي، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 2003 .

خير الله عصار، محاضرات في منهجية البحث الاجتماعي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1982

زيدان عبد الباقي، قواعد البحث الاجتماعي، ط2، مطبعة السعادة، القاهرة، 1974

عامر قنديلجي، البحث العلمي واستخدام مصادر المعلومات، دار اليازوري العلمية، ط 1، عمان، 1999

عبد الرحمن بدوي، مناهج البحث العلمي، دار النهضة، القاهرة، 1993.

موريس أنجرس، منهجية البحث في العلوم الإنسانية، دار القصبة، الجزائر، 2004.

عبد الكريم بوحفص، دليل الطالب لإعداد وإخراج البحث العلمي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2006.

سعيد سبعون، الدليل المنهجي في إعداد المذكرات والرسائل الجامعية في علم الاجتماع، دار القصبة، الجزائر، 2012

فضيل دليو وعلي غربي، قضايا منهجية في العلوم الاجتماعية ،2011 .

عبد الغني عماد، منهجية البحث في علم الاجتماع، دار الطليعة، بيروت، 2007.

عبد الباسط عبد المعطي، البحث الاجتماعي، دار المعرفة الجامعية، مصر، 1985.

فضيل دليو، أسس البحث وتقنياته في العلوم الاجتماعية، ديوان المطبوعات الجامعية، قسنطينة، 1997.

•مراجع من اختيار أستاذ المادة باللغات العربية، الإنجليزية والفرنسية :

يمكنني إضافة المراجع المهمة التالية، معتبرا إياها أكثر أهمية ودقة وتنوعا من مراجع عرض التكوين الرسمي خاصة بالنسبة للسداسي الثاني. سيجد الطالب أن بعض هذه المراجع تقليدي وبعضها إلكتروني، عليه فقط أن يبحث من خلال عنوان الكتاب، في حالة الكتاب الإلكتروني، في المكتبات الإلكترونية الكثيرة وسيحصل بكل سهولة على الكتاب إما قراءة أو تحميلا .

•كتب باللغة العربية :

1. كمبنهود ليك فان وكيفي ريموند، دليل الباحث في العلوم الاجتماعية، تر: الجباعي يوسف، المكتبة العصرية، بيروت

2. مادلين غرافيتز، مناهج العلوم الاجتماعية، الكتاب الأول: العلم والعلوم الاجتماعية، ترجمة: عمار سام، مراجعة: الجيوشي فاطمة، ط1، المركز العربي للتعريب والترجمة والتأليف والنشر، دمشق، 1993

3. مادلين غرافيتز، مناهج العلوم الاجتماعية، الكتاب الثاني: منطق البحث في العلوم الاجتماعية، ترجمة: عمار سام، مراجعة: الجيوشي فاطمة، ط1، المركز العربي للتعريب والترجمة والتأليف والنشر، دمشق، 1993

4. بوب ماتيوز وليز روس، الدليل العملي لمناهج البحث في العلوم الاجتماعية، ترجمة وتقديم وتعليق: الجوهري محمد، المركز القومي للترجمة، القاهرة، 2016

5. جامعة محمد الخامس، المناهج الكيفية في العلوم الاجتماعية، تنسيق: الهراس المختار، ط1، منشورات كلية الآداب بالرباط، الرباط، 2002

6. بوحوش عمار والذنيبات محمد محمود، مناهج البحث العلمي وطرق إعداد البحوث، ط4، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2007

7. غريب سيد احمد، البحث الاجتماعي، دار المعرفة الجامعية، القاهرة، 1998

- كتب إلكترونية وورقية بالإنجليزية والفرنسية :

1. C. R. Kothari, Research Methodology : methods and techniques, New age international publishers, third ed, new delhi, 2004

2. BOUTILLIER Sophie et al, méthodologie de la thèse et du mémoire, Studyrama, France, 2012

3. DEPELTEAU François, la démarche d une recherche en sciences humaines : de la question de départ a la communication des résultats, De Boeck, 2eme ed, Québec, 2011

4. CAMPENHOUDT luc Van, MARQUET Jacques et QUIVY Raymond, Manuel de recherche en sciences sociales, 5e éd, DUNOD, 2017

الأهداف البيداغوجية للمادة:

- الحصول على معدل تكوين مناسب للنجاح في المادة
- التمكن من منهجية البحث وأدواتها المختلفة، الأمر يعني هنا مذكرة التخرج ماستر تحديدا
- التمكن من فهم العينات، أسس اختيارها واستخراجها وإشكاليات ذلك

• التمكن من فهم تقنيات البحث وطرق تطبيقها من ملاحظة ومقابلة واستمارة.. والإشكاليات المرتبطة بذلك

• التمكن من معرفة طرق عرض البيانات وتبويبها

• التمكن من فهم معنى التحليل الكمي والكيفي وكيفية ذلك

• التمكن من التحكم في تقنيات الاقتباس والإحالة

المحور الأول: العينات: مفهومها، أنواعها، كيفية اختيارها واستخراجها، إشكالياتها

يتطرق هذا المحور إلى إحدى أهم عناصر البحث العلمي، العينة. فبعد أن يتمكن الباحث من إنجاز مرحلتي القطع وجزء مهم من مرحلة البناء، ينتقل للعمل على بناء أدوات بحثه الميدانية المختلفة، والتي منها العينة كعنصر مهم لا يمكن تجاوزه في إنجاز أي بحث سوسيولوجي إمبريقي.

أهداف المحور:

• معرفة معنى مفهوم العينة، والمفاهيم المرتبطة بها في البحث السوسيولوجي

• تحديد أهم أسس اختيار العينة

• تحديد أهم أنواع العينات المستخدمة في البحث السوسيولوجي

• التمكن من حسن اختيار العينة، ومن كيفية استخراجها إحصائيا

• تنمية وعي الطالب بمختلف الصعوبات والإشكاليات الابستمولوجية والمنهجية الممكنة التي تحيط بعينة البحث السوسيولوجي، اختيارها واستخراجها.

المحاضرة الأولى: عينة البحث السوسيولوجي: المفهوم، المفاهيم ذات الصلة وأسس الاختيار

1. مجتمع البحث، المعاينة والعينة: تحديد مفاهيم

تعتبر العينة عنصر أساسيا من عناصر البحث السوسيولوجي الإمبريقي، يزداد الاهتمام بها أساسا لصعوبة دراسة مجتمع البحث ككل، لكن بالنظر كذلك لمدى مصداقية النتائج المتحصل عليها بواسطة العينة وإمكانية تعميمها ومستوى هذا التعميم. غالبا يلجأ أغلبية ساحقة من الباحثين إلى جمع المعلومات الإمبريقية بواسطة هذه الأداة اقتصادا للجهد من جهة وربحا للوقت، ومن جهة أخرى تمكننا العينة من التعميم المتناسب للنتائج المتحصل عليها بواسطتها على كل المجتمع الأصلي مع مجال واسع للتدقيق والتحكم.

ولتحقيق مستوى مقبول من مصداقية تلك النتائج تمهيدا لتعميمها وفق أهداف البحث المعلنة، فإن جهد الباحثين ينصب على الاختيار الأمثل بين العينة وبين المسح الشامل، وبعد أن يستقر الاختيار على العينة، يصبح اختيار أنسبها من بين كل تلك الأنواع المقترحة الأمر الأكثر تحديا.

نقوم بالبحث الميداني أو الإمبريقي باستخدام أسلوبين اثنين:

- أسلوب المسح الشامل ونأخذ فيه كل أفراد مجتمع البحث،
- وبأسلوب العينة ونأخذ فيه جزء ممثل لهذا الكل بناء على معايير يحددها موضوع البحث خاصة، وأخرى تتحدد بخصائص مجتمع البحث ومعايير أخرى سنراها فيما بعد.

سينطلق الباحث من تصميم موضوع بحثه والمنهج المستخدم، وسيعاين مجتمع بحثه، وسيستقر بعد فترة من العمل على الاختيار بين المسح الشامل أو العينة، وبعد أن يختار العينة، سيحاول اختيار النوع الأنسب من العينات المتاحة، وهذا ما سيتيح له الانطلاق في بحثه الميداني ببناء أدوات جمع البيانات المناسبة، ثم جمع البيانات وتحليلها وصولا إلى الاستنتاجات والخلاصات الممكنة لبحثه. وهذا يمكن توضيحه من خلال الشكل التالي:

الشكل رقم1: أساليب المسح الميداني

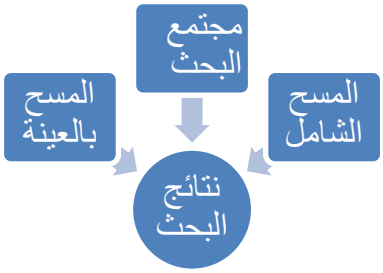

المصدر: من إنجاز أستاذ المادة

إن أهدافا مثالية لإنجاز موضوع بحث تفرض اختيار مناهج، أساليب وأدوات مماثلة، أي مثالية، لكن هناك دائما عقبات تعترض إنجاز بحوثنا بمثل هذه الأهداف وهذه الأدوات. فإذا كان تطبيق المسح الشامل على كل مجتمع البحث هدفا يرتجى بلوغه في حالة مجتمع بحث كبير الحجم، فإن العينة قد تصبح بديلا ممكنا ومناسبا لتذليل هذه العقبات لكن غالبا بطموحات وأهداف أقل مثالية، أو أكثر نسبية .

قبل عرض مفهوم العينة ينبغي التطرق للمفاهيم المرتبطة بها مجتمع البحث تحديدا والمعاينة. بذلك يمكننا طرح الأسئلة المهمة التالية كما يلي:

.ماذا نعني بمجتمع البحث؟ المعاينة؟ والعينة؟

• •مجتمع البحث :

مجتمع البحث، المجتمع الكلي، المجتمع الأصلي، المجتمع الأم.. تسميات يعبر بها الباحثون في ميدان المنهجية عن معنى واحد، وهو: " مجموعة منتهية أو غير منتهية من العناصر المحددة مسبقا والتي ترتكز عليها الملاحظات. "

فإذا كان موضوع بحثنا، مثلا، هو التزام المواطنين الجزائريين بقواعد الحجر الصحي، مجتمع البحث هنا هو كل المواطنين الجزائريين. وإذا كان الموضوع التزام سكان الجزائر بالحجر الصحي يصبح مجتمع البحث هنا، إضافة للمواطنين الجزائريين، كل السكان بما

فيهم الأجانب الذين يسكنون الجزائر لكن ليسوا جزائريين. وإذا كان الأمر التزام الطلبة الجامعيين الجزائريين بهذه القواعد فمجتمع البحث هنا هو كل طلبة الجامعة الجزائريين وليس المجتمع الجزائري ككل. نلاحظ ان موضوع البحث وتصميمه، وفقا لهذه الأمثلة، هو الذي يحدد طبيعة هذا المجتمع وحدوده.

كما يمكن تعريفه على أساس آخر على أنه: " مجموعة عناصر لها خاصية أو عدة خصائص مشتركة تميزها عن غيرها من العناصر الأخرى، والتي يجري عليها البحث أو التقصي "

أو تعريفه على أنه: "المجتمع الأم.. الذي يعني مجموع أفراد ذوو خصائص محددة فيما يتصل بأهداف البحث "

نتكلم بالنسبة لمجتمع البحث عن تلك المجموعة من الخصائص المشتركة التي تجمع بين مجموعة من الأفراد في حالة مجتمع البحث الإنساني. أو مجموعة من الأشياء، استعارة للمفهوم، الوثائق مثلا، أو الحصص التليفزيونية، أو الخطابات وما إلى ذلك. وهذا ما نقرأه من خلال عنوان موضوع البحث وإشكاليته بوضوح. هذه الخصائص المشتركة تتحدد بالنسبة للبحث بموضوعه وأهدافه وليس على مطلق خصائص المجتمع، وهذا ما نلاحظ التعريفين السالفين يذكرانه على أنه شرط أساسي لتحديد هذا المجتمع. مثلا، في حالة مجتمع بحث "مجموع الطلبة الجامعيين الجزائريين" كما في المثال السابق، الطلبة الجزائريين هنا كلهم لكن دون الطلبة الأجانب الذين يدرسون بالجامعة الجزائرية. في حالة موضوع الخطاب السياسي في زمن الوباء بالجزائر مثلا، يمكننا أن نحدد تعريفا لمجتمع البحث على أنه كل خطاب سياسي في البلد حول هذا الوباء، خطاب الفاعلين الرسميين، المجتمع المدني من أحزاب وجمعيات، أفراد..، أي كل خطاب يعرف على أنه سياسي أي بمضمون وغايات سياسيين.

مجتمع البحث إذن هو مجموع عناصر المجتمع الكلي الذين يشتركون في خصائص محددة بناء على طبيعة موضوع البحث وأهدافه.

•• المعاينة:

المعاينة هي: "مجموعة من العمليات تهدف إلى بناء عينة تمثيلية لمجتمع البحث المستهدف. وفي هذا المجال يوجد نوعين كبيرين من المعاينة: الاحتمالية وغير الاحتمالية "

أو: " مجموعة من العمليات تسمح بانتقاء مجموعة فرعية من مجتمع البحث بهدف تكوين عينة "

نفهم من هذين التعريفين العينة غير ممكنة بدون معاينة، فالمعاينة أساس تشكيل العينة من مجتمع البحث. وهي تنقسم إلى فئتين اثنتين، الأولى معاينة احتمالية: وتقود بعمليات ومقاييس احتمالية باتجاه تشكيل مجموع العينات المسماة عينات عشوائية. والثانية معاينة غير احتمالية وعلى أساسها تتشكل العينات غير العشوائية أو القصدية. بالنسبة للمعاينة الاحتمالية تتم بانتقاء أفراد العينة على أساس عشوائي أي بإعطاء فرص متساوية في أن يختار أي فرد من أفراد مجتمع البحث ليكون في العينة، والعكس صحيح بالنسبة للمعاينة غير الاحتمالية فأفراد العينة يختارون بشكل قصدي على أساس قيمتهم المميزة بالنسبة لموضوع البحث .

•• العينة:

مفهوم العينة محدد بشكل دقيق تقريبا لدى جميع المشتغلين في ميدان البحث العلمي، وفي ميدان البحث السوسيولوجي تحديدا، الاختلافات التي يمكن أن نلاحظها قد تكون، بشكل عام، على علاقة بسؤالي تمثيلية العينة و إمكانية تعميم نتائجها خاصة.

تعرف العينة على أنها: " جزء أو فرع من المجتمع الأم "..

إذن هي ذلك الجزء من الكل الذي يأخذه الباحث على أساس عملية المعاينة من مجتمع البحث وفق شروط البحث واهدافه، أي من المجتمع الكلي الذي ينتمي إليه. وهذا على أساس إمكانية تمثيله لهذا المجتمع، وقابلية النتائج المتحصل عليها، بناء على ذلك، للتعميم على ذلك الكل.

هذا المسار من مجتمع البحث إلى المعاينة وصلا إلى العينة يمكن تلخيصه في الشكل التالي:

الشكل رقم 2: مسار تشكيل العينة

المصدر: من إنجاز أستاذ المادة

تفيد بنية هذا الشكل وصورته أنه:

◄من غير الممكن الحصول على عينة دون المرور على مجتمع البحث ثم المعاينة،

◄هناك شروط، مقاييس وعمليات ينبغي الالتزام بها في تشكيل العينة.

2. أسس اختيار عينة بحث سوسيولوجي:

تختار العينة لعدة اعتبارات متعلقة أساسا باختزال الجهد والوقت، وللتمكن من التحكم في سير عملية جمع المعلومات من مجموعة صغيرة ومناسبة. أي أن مسحا شاملا، في حالة مجتمعات بحث كبيرة الحجم، لن يمكن الباحث من تنفيذ برنامج عمله كما يجب، ولن يمكنه كذلك من التحكم في علاقته وعمله مع مجموعة هائلة من المبحوثين، وهذا ما سيكون له تأثيره على دقة العمل ومصداقيته. على العكس من ذلك قد يعاب على العينة انها مجرد

جزء من كل، وأن هذا الكل في حالة البحث السوسيولوجي يتصف بقدر عال من التعقيد، الامر الذي يطرح أكثر من سؤال بخصوص دقة النتائج وإمكانية تعميمها على هذا الكل. بشكل عام يمكننا تحديد أهم أسس اختيار عينة البحث فيما يلي:

- تختار العينة بناء على طبيعة موضوع البحث:

أي أن الخصائص الأساسية لهذه العينة يحددها الموضوع، متغيراته في علاقتها ببعضها وأهدافه. من حيث الكم عدد الأفراد الذين ينبغي أن تتشكل منهم ونسبتها المئوية إلى المجتمع الكلي، ومن حيث الكيف مجموع خصائص مجتمع البحث الكلي التي ينبغي أخذها بعين الاعتبار بالنسبة لتشكيل هذه العينة .

كمثال عن ذلك، على مستوى الكم، سيأخذ الباحث بالنسبة لموضوع التخصص الدراسي والاندماج الجامعي للطلبة، بخاصية التخصص فقط، ففي حالة ما إذا قرر مثلا، بناء على شروط علمية، تغطية جميع التخصصات وفروعها بالجامعة، سيؤدي ذلك إلى حجم أكبر للعينة. ولشروط علمية أيضا قد يأخذ فقط بعينة من حجم صغير في حالة موضوع آخر، مثلا علاقة الطالب بإدارة الجامعة واندماجه الجامعي. وهنا قد لا يهتم بمختلف الخصائص الأخرى، غير خاصية كونهم طلبة، تلك التي لا يبدو لها تأثير حاسم على مستوى علاقة متغيرات بحثه، ومنها نتائج بحثه ككل وفقا لخصوصية كل موضوع طبعا .

وفي نفس المثال الأول، لكن على مستوى الكيف، يعتبر التخصص الدراسي معيار اختيار أفراد العينة، وليس الخلفية الثقافية مثلا أو الاقتصادية، أو الجنس..، فنأخذ في إطار ذلك بعين الاعتبار مجموع التخصصات الموجودة على أساس تصنيف معين قائم ومعقول وعلى أساس أن كل تخصص دراسي له تأثيره الخاص. نأخذ مثلا طلبة العلوم الاجتماعية والإنسانية، وطلبة العلوم التقنية، وطلبة الحقوق، وطلبة الاقتصاد والتسيير. وفي حالة المثال

الثاني قد تتوسع أكثر الخصائص المطلوب بالنسبة للبحث وجودها في العينة، مثلا التخصصات على تنوعها، المستويات، الجنس، المستوى العلمي والثقافي للطلبة ..

- تختار عينة البحث على أساس طبيعة مجتمع البحث:

في هذه الحالة يتحدد اختيار العينة دون المسح الشامل، أو أي عينة من العينات المختلفة في حالة اعتماد طريقة المسح بالعينة، على أساس خصائص مجتمع البحث، لكن ليس بعيدا عن طبيعة الموضوع الذي يبقى أساس الاختيار. مجتمع معروف وغير معروف، مجتمع متجانس وغير متجانس، مجتمع معقد التركيبة.. هي ما يعتبر الأساس في هذا الاختيار. فعندما ندرس المجتمع الجزائري مثلا سيكون لدينا مجتمع بخصائص متميزة ومركبة إلى حد ما مقارنة بمجتمع من طبيعة مختلفة. فعكس المجتمع الألماني الذي تسيره روح الحداثة والعقلانية والعلمية أساسا.. نجد أن المجتمع الجزائري، وأيا من المجتمعات الإفريقية مثلا أو غالب المجتمعات الأسيوية، تتميز بمجموعة خصائص مميزة و مركبة ومتشابكة: الدين مثلا، الحداثة، التقليدية..

- تختار العينة كذلك على أساس القدرة على التحكم والدقة في إجراء البحث ميدانيا :

فقد يصعب على الباحث المبتدأ، أو حتى الخبير أحيانا، أن يتمكن بمفرده من التحكم بكل تفاصيل عملية جمع المعلومات ميدانيا، وباستجواب متمكن لكل بالمبحوثين. بالتالي قد يحرمه ذلك من دقة العمل والالتزام بالضوابط التي تحكم هذه العملية. فإذا كانت دراسة مجتمع البحث ككل بمسح شامل تتيح أكثر مصداقية لنتائج البحث، فإن العينة تتيح للباحث تمكنا أكثر ودقة في العمل الميداني. هنا نلاحظ مصداقية الإجراءات المتخذة مقابل مصداقية النتائج في حالة المسح الشامل. وبهذا يمكن الاستنتاج أن مصداقية النتائج من مصداقية إجراءات البحث ودقتها.

•تختار العينة كذلك بناء على أهداف الدراسة، تحديدا التعميم:

عمق الدراسة، زمنها وشموليتها.. تعتبر معاييرا مهمة إلى جانب معايير أخرى، تتدخل بشكل مؤثر في اختيار العينة وبنائها. لكن قد يعتبر هدف التعميم أهم معيار في كل ذلك، على أساس تضمنه لغالب هذه المعايير. لكن ما معنى تعميم نتائج بحث؟

يقصد بالتعميم اعتبار مجموع النتائج المتحصل عليها بواسطة دراسة الجزء، الذي هو العينة، صالحة لتفسير الموضوعات المشابهة في مجتمع أكبر يتضمن هذا الجزء، أو في المجتمع الكلي .

ولكي يحدد الباحث موقفه من ذلك عليه أن يجيب عن الأسئلة المرتبطة بالسؤال التالي :

. هل يهدف مثلا، من خلال بحثه، إلى تعميم النتائج على مجتمع بحثه الذي اختار منه عينته؟ مجتمع مدينة غرداية مثلا. أم على مجتمع أكبر يتضمن مجتمع بحثه؟ مجتمع ولاية غرداية مثلا. أم على المجتمع الأكبر المنتمى إليه؟ المجتمع الجزائري ككل مثلا؟

كمثال على ذلك موضوع "النشاطات الفكرية لطلبة جامعة غرداية ومستواهم الدراسي"، النتائج التي سيحصل عليها الباحث هل سيعممها على طلبة جامعة مدينة غرداية فقط، أم على جميع طلبة جامعات ولاية غرداية بافتراض أن الولاية تعد أكثر من جامعة في أكثر من مدينة، أو على طلبة الجامعة الجزائرية ككل. مثال آخر موضوع النشاطات الفكرية لشباب مدينة غرداية ومستواهم الثقافي، هل سيعمم نتائج ذلك على شباب، مدينة غرداية فيما لو أخذ عينة، أو على شباب ولاية غرداية أو على كل الشباب الجزائري. سيحاول الباحث هنا من خلال معايير أكثر تشددا وتناسبا مع مستوى التعميم بهذا الحجم أو ذاك، أن يزيد في حجم العينة مثلا لتغطية بعض الخصائص المختلفة والمهمة على مستوى المجتمع المعمم عليه، وأن يختار نوع عينة مناسب، العنقودية مثلا بدلا عن الطبقية في حالة كان هدف التعميم المجتمع الجزائري ككل.

يمكننا تلخيص علاقة هذه الأسس ببعضها وبالعينة كما يلي:

الشكل رقم3: أهم أسس تحديد عينة بحث

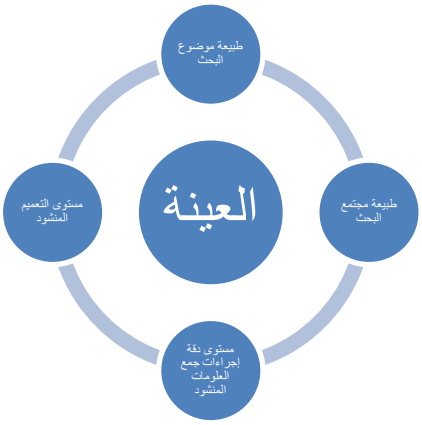

المصدر: من إنجاز أستاذ المادة

يلخص هذا الشكل أهمية مراعاة الباحث لمختلف الأسس التي بموجبها يختار عينته ويبنيها. وأن هذه الأسس على علاقة ببعضها، أي لا يمكن تصور تشكيل عينة بحث دون أخذها كلها بعين الاعتبار ومعا.

المحاضرة الخامسة عشر: أنواع العينة وكيفية اختيارها

المحاضرة الثانية: مبررات اختيار العينة، مراحل اختيارها

لاحظنا سالفا أن العينة تعتبر حلا مثاليا نسبيا لباحث يرتجي نتائجا مثالية إلى حد ما، بتجاوز عقبات تحول دون تحقق ذلك في حالة المسح الشامل. تعتبر العينة بديلا مناسبا للمسح الشامل لاعتبارات تصورية وإجرائية مختلفة على صلة بموضوع البحث، مجتمع البحث والناحية الإجرائية.

1. اعتبارات تبرر اختيار العينة دون المسح الشامل:

هناك اعتبارات ابستمولوجية ومنهجية تحيط باختيار العينة يمكن ذكر أهمها كما يلي:

. باعتبار أن المجتمع كبير الحجم، ومعقد من حيث الخصائص، لا يتيح من الناحية الإجرائية إمكانية دراسته ككل ميدانيا وكما يجب، بينما تتيح ذلك العينة بسهولة لافتة،

. باعتبار أن دقة التحكم والتنظيم، ومختلف إجراءات التحقق الميداني متاحة أكثر من خلال أسلوب العينة مقارنة بأسلوب المسح الشامل، الأمر الذي يمكن الباحث من تحقيق نتائج أكثر مصداقية،

. إمكانية التعميم المتاحة تجعل من العينة مسعى مثاليا لاقتصاد الوقت، الجهد والمال. على أن القابلية للتعميم ترتبط، بشكل عام، بشرطين إحصائيين أساسين اثنين هما:

↙ درجة الدقة: هنا ينبغي طرح السؤال التالي: إلى أي مدى تتطابق نتائج بحثنا المتحصل عليها بواسطة العينة مع واقع مجتمع البحث المدروس؟ وللإجابة على هذا السؤال هناك أساليب إحصائية مقترحة لذلك. من ذلك أن مجال هذا التطابق ينبغي أن يتراوح إحصائيا بين 80 إلى 95 %، فكلما كانت النتائج المتحصل إليها بواسطة العينة أكثر قربا من أعلى حد في المجال، أي 95 %، وبالتالي من حقيقة واقع مجتمع البحث ككل، كلما كانت أكثر قابلية

للتعميم. هنا نتكلم عن درجة التطابق التي تؤدي إلى قبول التعميم، قبوله جزئيا حسب موضوعات البحث، أو عدم قبوله تماما. على أن هناك اعتبارات ابستمولوجية بالأساس، وأحيانا منهجية على علاقة بموضوع البحث وطبيعة العلم الذي ينتمي إليه، وبطبيعة مجتمع البحث، كمجتمع من جهة، وبوصف الاختلافات بين مختلف المجتمعات من جهة أخرى، قد تؤدي إلى قبول مستوى معقول في ذلك. فمثل هذه الوضعية قد تدفعنا بخصوص علم الاجتماع تحديدا، والعلوم الاجتماعية والإنسانية بشكل عام إلى التواضع أكثر مقارنة بالعلوم التجريبية والتقنية. وقبول نتائج أدنى من المتوقع، بالنظر للاشفافية واقعنا المجتمعي وواقعاته الاجتماعية وتعقيدات ذلك، فربما مهد هذا لدراسات أخرى قد يتاح لها مستوى أكثر طموحا من الدقة بفعل التراكم العلمي الذي يمكن أن يحدث.

↙ درجة الثقة: هنا نتكلم عن احتمالات عدم تطابق النتائج مع الواقع المجتمعي للدراسة عكس درجة التطابق. السؤال الذي يجب طرحه هنا هو: إلى أي درجة يمكننا أن نثق في النتائج المحققة بواسطة العينة؟

يمكن القول، من الناحية الإحصائية، إنه كلما ارتفعت درجة الدقة انخفضت درجة الثقة، والعكس كلما انخفضت درجة الدقة ارتفعت درجة الثقة. من حيث المضمون درجة ثقة أفضل تسمح بإمكانية التعميم بالمستوى المطلوب علميا.

يمكننا من خلال الشكل التالي الذي يبين بوضوح اختلاف درجة الدقة عن درجة الثقة إحصائيا، أن نستوعب كيفية التعرف إلى طبيعة النتائج الإحصائية لعينتنا من حيث التطابق والثقة وقراءة ذلك.

الشكل رقم 4: درجة الدقة مقابل درجة الثقة (%)

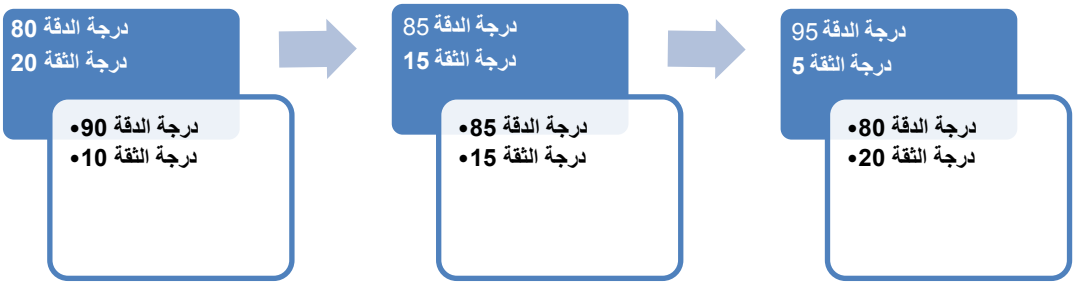

المصدر: من إنجاز أستاذ المادة

. العينة تتيح مجموعة أساليب إحصائية أكثر دقة في مجال الانتقاء والبناء،

. اعتبار أن تنوع العينات أمر حاسم في مواجهة تعقيدات المعطيات الاجتماعية.

هذه بعض اعتبارات تبني أسلوب العينة بديلا عن المسح الشامل، والتي ينبغي أخذها في الحسبان عند البدء بأي دراسة إمبريقية. وإن مبرر اختيار العينة بدلا من المسح الشامل، أو حتى اختيار هذه العينة بدلا عن تلك، مرتبط بشكل أساسي بمراعاة هذه الاعتبارات واعتبارات أخرى على صلة بخصوصية كل عينة في علاقتها بمجتمع البحث الذي تؤخذ منه. كما أن حسن اختيار العينة على صلة باحترام الخطوات اللازمة في ذلك، أو المراحل التي ينبغي المرور بها للوصول إلى اختيار عينة جيدة وتشكيلها. فما هي هذه المراحل؟

2. مراحل اختيار عينة:

بعد أن يكون الباحث قد حسم أمره بخصوص اعتماد أسلوب العينة وليس المسح الشامل، وبعد أن يحضر نفسه جيدا ويحشد الأدوات اللازمة لمعاينة الواقع المجتمعي المراد دراسته، سيحاول من خلال مراحل إجرائية مهمة أن يختار عينته في النهاية بأكثر دقة وأكثر مصداقية. بشكل عام يمكننا تحديد مراحل اختيارها الأساسية كما يلي:

1.2 التعريف بمجتمع البحث N:

تعريف مجتمع البحث من حيث خصائصه وحدوده من جهة، ومن الناحية الإحصائية على المستوى الكلي والجزئي من جهة أخرى، يعتبر أساس عملية المعاينة التي تسبق تشكيل العينة. يتحدد هذا التعريف أساسا من خلال موضوع البحث وأهدافه مثل مستوى التعميم المنشود مثلا.

◄ من حيث الحدود: للمجتمع حدود إمبريقية واضحة تميزه عن باقي المجتمعات الأخرى. المقصود بالمجتمع هنا تحديدا هو مجتمع البحث الذي ستجري عليه الدراسة، أي في علاقته بموضوع هذه الدراسة. والذي قد يكون المجتمع الكلي، مثلا المجتمع الجزائري كما نلاحظ ذلك من خلال الموضوع التالي:

مثال1:

"أشكال تضامن الجزائريين فيما بينهم في زمن جائحة كورونا والاندماج الاجتماعي" مجتمع البحث هنا يتكون من كل الجزائريين إذا لاحظنا أن هذا التضامن ظاهرة اجتماعية شاملة في كل المجتمع، أو يتكون من مجموع الذين يشتغلون في هذا الميدان والمتطوعون في ذلك إذا صدر فعل التضامن هذا من فئات اجتماعية معينة أو عدد من المتطوعين ولم يرق لمستوى تضامني في كل المجتمع.

كما يمكن أن يكون مجتمع البحث مجرد فئة اجتماعية معينة فقط، أو مجموعة اجتماعية أو ثقافية، أو سياسية، أو مهنية، أو مجموعة فئات أو عدد من المجموعات. وهذا حسب موضوع البحث طبعا وأهدافه.

مثال2:

" الحوافز الوظيفية والاندماج التنظيمي للموظفين الجزائريين في الإدارة المحلية"

مجتمع البحث هنا هو مجموع موظفي الإدارة المحلية الجزائريين، دون موظفي الإدارة ككل، وبدون كذلك موظفين محتملين أجانب بالإدارة المحلية الجزائرية. هذا ما يمكن اعتباره هنا مجتمع البحث الكلي الذي ينبغي تحديد خصائصه كما وكيفا، واستخراج العينة منه.

◄ من حيث الخصائص: لكل مجتمع إنساني خصائص تميزه عن غيره من المجتمعات، ومجتمع البحث بناء على ذلك له خصائص تميزه عن غيره أيضا من حيث الكيف والكم. من حيث الكيف يمكن أن نتكلم عن خصائص الجنس، السن، الخصائص الثقافية، الخصائص الإنتاجية، الصناعيين، الفلاحين، الموظفين، المتعلمين وغير المتعلمين، المستوى التعليمي...الخ. هناك خصائص لا حصر لها لكل مجتمع بحث، لكن ما يهم الباحث تحديدا هو تلك الخصائص التي لها علاقة بمتغيرات البحث وأهدافه فقط أي طبيعة موضوعه، فمن غير الممكن إطلاقا استخراج عينة من كل تلك التركيبة المعقدة من الخصائص.

مثال:

" العمل بعقود محدودة المدة والاندماج الاجتماعي بالمؤسسة الاقتصادية الجزائرية"

مجتمع البحث هنا هو مجموع العمال بعقود محدودة المدة بالمؤسسات الاقتصادية الجزائرية. خصائص هذا المجتمع: قد تكون مجموع الخصائص العامة والذاتية مثل السن،

الجنس، المستوى التعليمي، أو مدة العقد وعدد مرات تجديده، الفئات المهنية المختلفة بالمؤسسة..

◄ إحصائيا: ينبغي حصر المعطيات الإحصائية الإمبريقية اللازمة عن مجتمع البحث ككل وعن كل الفئات التي يتشكل منها انطلاقا من موضوع البحث وأهدافه دائما ومن خلال خصائصه. فبدون هذه المعطيات الإحصائية لن تصبح أي عملية إحصائية لاحقة ممكنة، تحديدا ما تعلق باستخراج العينة وتشكيلها إحصائيا.

2.2 ضبط حجم العينة n:

عموما لا توجد نسب محددة متفق عليها من طرف الجميع، لكن توجد شروط ومعايير لقياس الحجم الأمثل لعينة تمثيلية. وهذا ما ستؤثر فيه متغيرات مثل[1]:

- ◄ طبيعة موضوع البحث من حيث طبيعة متغيراته، وعلاقة هذه المتغيرات ببعضها،
- ◄ من حيث أهداف موضوع البحث، تحديدا مستوى التعميم المنشود. هنا نتكلم عن درجة الدقة والثقة المطلوبين مسبقا لذلك،
- ◄ طبيعة مجتمع البحث من حيث الحجم، التجانس والتباين والتعقيد..

3.2 تحديد نوع العينة:

بعد ضبط حجم المجتمع وتعريف حدوده وخصائصه، وبعد ضبط حجم العينة إحصائيا، ينتقل الباحث إلى تحديد نوع العينة المناسب لموضوعه وأهداف هذا الموضوع، ولطبيعة مجتمع بحثه. وهنا سينتهي العمل بشأن العينة إلى استخراجها إحصائيا واجتماعيا، ثم الانتقال إلى العمل الميداني مباشرة بعد تحضير تقنيات جمع المعلومات المناسبة.

---

[1] سبق التعرض بالشرح لهذه العناصر. وللاستزادة انظر:
. أمال صالح عبدالرحيم وعدنان أحمد مسلم، **دليل الباحث في البحث الاجتماعي**، العبيكان للنشر، 2011 ص 64 إلى ص 83/ كتاب إلكتروني مقروء.
. موريس أنجرس، منهجية البحث العلمي في العلوم الإنسانية: تدريبات عملية، دار القصبة، الجزائر، 2006، ص298 إلى ص 328.

المحاضرة الثالثة: أنواع العينات وكيفية استخراجها إحصائيا:

لقد رأينا أن العينة تشكل بديلا علميا مناسبا للمسح الشامل لاعتبارات علمية وموضوعية، وأنها تختار وفق مراحل محددة وشروط مناسبة. هذه الشروط العامة والمراحل، تصبح خاصة بكل عينة من أنواع عينات البحث السوسيولوجي، فلكل منها اعتبارات اختيار وشروط، خصائص وطريقة استخراج إحصائية مناسبة.

فما هي أنواع عينات البحث السوسيولوجي إذن؟ وما شروط اختيار كل منها؟ وكيف يتم استخراجها إحصائيا؟

أنواع العينات:

يستخدم البحث السوسيولوجي عدة عينات، بعضها احتمالي والبعض الأخر غير احتمالي. يمكن اعتبار تعدد عينات البحث السوسيولوجي تنوعا مفيدا بالنظر للاعتبارات العلمية الأساسية الموضحة بالشكل التالي:

الشكل رقم 5: لماذا تتنوع عينات البحث السوسيولوجي؟

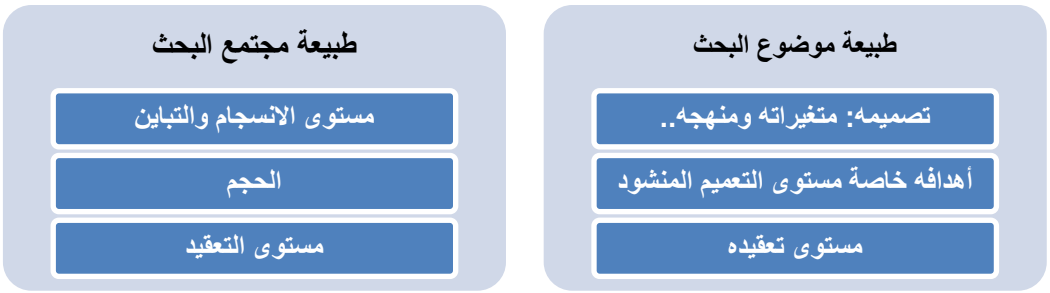

المصدر: من إنجاز أستاذ المادة

موضوع البحث السوسيولوجي إذن، تصميمه، أهدافه وتعقيده من جهة، ومجتمع البحث من حيث حجمه، مستوى انسجامه وتباينه وتعقيده من جهة أخرى هو ما يجعل من تعدد العينات مطلبا ابستمولوجيا ومنهجيا أساسيا لاختيار العينة الأمثل. هذا يعني أن لكل موضوع أساسا، ولكل مجتمع بحث عينته الخاصة به. أي لا توجد عينة واحدة فضلى لكل موضوع بحث أومجتمع بحث.

هناك نوعين من العينات الأم التي تعكس أسلوب المعاينة، وهما:

◄ العينات الاحتمالية: تتحدد بخصائص عامة كما يلي:

. تختار في حالة كان مجتمع البحث معروفا،

. تعطي فرصا متكافئة لجميع أفراد مجتمع البحث في السحب،

. تقلل إلى حد ما من إمكانية التحيز المقصود، لكن قد تتسبب أحيانا في التحيز غير المقصود.

◄ العينات غير الاحتمالية: من خصائصها:

. قد تختار غالبا في حالة مجتمع بحث غير معروف أو غير محدد،

. أفراد العينة أو مفرداتها يحددها الباحث سلفا لأغراض بحثية علمية وليس شخصية، بمعنى ليس للجميع نفس الفرص في السحب، ولأن يكونوا في العينة،

. مع قصور عمل الباحث واختلالاته الممكنة، وتحيزه قد يكون هناك مستوى تحيز أكبر يخل بتمثيلية العينة، ويكون أكثر إضرارا بالبحث مقارنة بالعينات الاحتمالية. لكن قد يكون هناك مستوى تحيز غير مقصود أقل، إذا كان هدف الباحث اختيار نماذج أكثر مثالية لعينته واحترم شروط العينة.

1. العينات الاحتمالية:

هناك أربع عينات مهمة وأكثر استعمالا من هذا النوع كما هو موضح بالشكل التالي:

الشكل رقم 6: أنواع العينات الاحتمالية

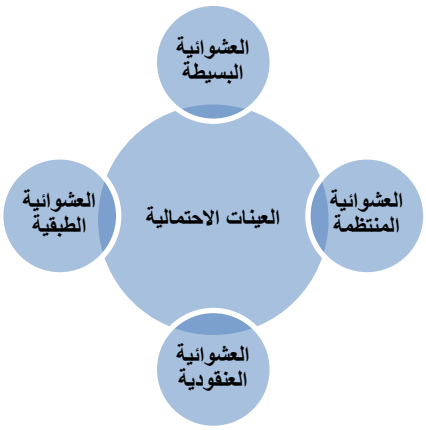

المصدر: من إنجاز أستاذ المادة

1.1 العينة العشوائية البسيطة: تعريفها، خصائصها، متى تستخدم، كيفية استخراجها

تعريفها: هي نوع من العينات الاحتمالية العشوائية، أي ذات السحب العشوائي البسيط الذي يمكن جميع أفراد مجتمع البحث من نفس الفرص في أن يكونوا في العينة، مالم يكن هناك تقصيرا في عمل الباحث، وما لم تكن هناك نسبة خطأ السحب غير مقبولة بما يتسبب فيما يسمى بالتحيز غير المقصود.

متى تستخدم: في الحالات التالية:

. مجتمع معروف،

. مجتمع متجانس وبحجم تعقيد أقل،

. لتفادي التحيز.

كيفية استخراجها:

يتم استخراج هذه العينة إحصائيا بعد تحديد حجم العينة كما يلي:

- تحديد مجتمع البحث المراد سحب مفردات العينة منه،
- تحديد حجم العينة المناسبة،
- السحب بطريقة القرعة بعد وضع أسماء مفردات البحث في أوراق ثم خلطها ببعضها ليسحب العدد المناسب من هذه المفردات بشكل عشوائي وبدون إرجاع في حالة اخترناهم جميعهم في أول سحب، وفي حالة عدم إكمال النصاب المحدد ينبغي أن يسحب بفرص متكافئة وعشوائية كذلك لجميع من تبقى بعد السحب الأول. أو السحب بطريقة الجداول العشوائية، بناء على رقم المفردات أو أفراد العينة الموافق لنفس الرقم العشوائي باختيار أفقي أو عمودي بهذه الجداول.

الشكل رقم7: إيجابيات وسلبيات ع ع ب

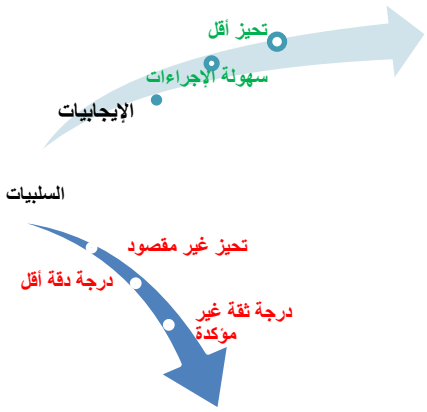

المصدر: من إنجاز أستاذ المادة

2.1 العينة العشوائية المنتظمة:

تعريفها: هي إحدى العينات العشوائية، سميت منتظمة لأن إجراءات سحبها تتم وفق مسافة اختيار منتظمة بين المفردات.

متى تستخدم:

. مجتمع معروف،

. مجتمع منسجم،

. للتقليل من حجم التحيز ولتحقيق درجة دقة وثقة مقبولتين مقارنة بالعشوائية البسيطة.

كيفية استخراجها:

يتم استخراجها، بعد تعريف مجتمع البحث وتحديد حجم العينة، وفق الإجراءات التالية:

. حصر مفردات مجتمع البحث في إطار سحب محدد، أي قائمة بأرقام متسلسة،

. تحديد مسافة الاختيار: تحسب على أساس قسمة مجتمع البحث على العينة، الحاصل هو مسافة الاختيار. مثلا:

N 400/n130= 03

مسافة الاختيار 03

. تحديد العدد العشوائي: من 1 إلى 3 مسافة الاختيار.

مثلا: مجتمع بحث مرتب من 1 حتى 400: 1 2 3 4 5 6 7 8 9 10 11

N...12

يمكن تسجيل بالنسبة لإيجابيات وسلبيات هذه العينة تقريبا هي نفسها عند العينة العشوائية البسيطة عدا أن العشوائية المنتظمة تحقق نسبة مصداقية أعلى بالنسبة لخطأ التحيز الذي قد تتعرض له العشوائية البسيطة، أي خطأ تحيز أقل.

3.1 العينة العشوائية الطبقية:

تعريفها: هي عينة عشوائية إلا أنها تتكون من طبقات تجعل السحب العشوائي يتم داخل كل طبقة من هذه الطبقات وليس داخل العينة ككل.

متى تستخدم؟

تستخدم في الحالات التالية:

. مجتمع معروف،

. مجتمع غير منسجم، أي يتكون من طبقات،

. لتحقيق نسبة تمثيل أكثر دقة وتعبيرا عن خصائص مجتمع البحث. فيتم السحب من طبقات المجتمع (N1, N2, N3....N) وبشكل متناسب في الغالب، وليس من المجتمع ككل.

كيفية استخراجها:

. بعد تحديد مجتمع البحث N، مثلا: 400

. بعد تحديد عينة البحث n ، مثلا: 130

. بعد تحديد عدد طبقات مجتمع البحث مثلا: h=3 وهي: N1, N2, N3,...N ، مثلا: 200 150 50 بالترتيب من N1 حتى N3

. تحسب n1, n2, n3...n كما يلي:

n1= n.N1/N ومنه الطبقة الأولى للعينة تساوي: 130. 200/ 400= 65

n2=n.N2/N ومنه الطبقة الثانية للعينة تساوي: 130.150/400= 49

n3= n.N3/N ومنه الطبقة الثالثة للعينة تساوي: 130. 50/400= 16

65 n1+49 n2+16 n3= 130 n

هكذا نكون قد اخترنا العينة بشكل صحيح، أي باحترام خصوصية المجتمع المشكل من طبقات من جهة، ومن جهة أخرى باحترام تناسب حجم كل عينة مع وزن كل طبقة اجتماعية سحبت منها. لكن في حالة كان حجم الطبقات متقاربة او متساوية فيمكننا حينئذ الاختيار بطريقة التساوي بدلا عن طريقة التناسب.

مع أن هناك طريقة سحب أخرى مبنية على استخراج نسبة العينة إلى مجتمع البحث، ثم استخراج طبقات العينة بناء على ذلك.

4.1 العينة العشوائية العنقودية:

تعريفها: هي عينة عشوائية لكن تختلف من حيث طبيعتها وإجراءات سحب مفرداتها. ففي العينات العشوائية المذكورة يمكن أن يتوفر للباحث قوائم كاملة عن مجتمع البحث، الأمر الذي قد يكون متعذرا في حالات معينة تفرضها دائما طبيعة مجتمع البحث وموضوعه، فتسحب هذه العينة مفرداتها عشوائيا من تجمعات طبيعية في مجتمع البحث تسمى عناقيد.

متى تستخدم؟

تستخدم في الحالات التالية:

. مجتمع معروف،

. مجتمع غير منسجم،

. عدم توفر قوائم للسحب،

. توزع مجتمع البحث في مساحة واسعة،

كيفية استخراجها:

. تحديد حجم مجتمع البحث أو مساحته،

. تحديد حجم العينة،

. تحديد العناقيد التي يتم السحب منها عشوائيا،

. السحب العشوائي.

مثال:

لدينا موضوع: التحصيل العلمي في مدارس ولاية غرداية. هناك مجموعة مدارس يمكننا اعتبار المدارس عناقيد أو المقاطعات المدرسية بالولاية، ثم نسحب عشوائيا من كل عنقود بالعينات العشوائية المذكورة حسب الحالة، أي طبيعة الموضوع ومجتمع البحث. فإذا كان مجتمعا منسجما نطبق البسيطة أو المنتظمة وإذا كان طبقيا نطبق إجراءات الطبقية.

لدينا كذلك عينة عنقودية متعددة المراحل، من خلال نفس المثال: نقسم المدارس بالولاية إلى مقاطعات ثم نختار عشوائيا مدارس من هذه المقاطعات، ثم نختار عشوائيا مفردات أو أفراد بحث من كل مدرسة.

2. العينات غير الاحتمالية:

تتشكل من مجموعة عينات فرعية، كما هو موضح في الشكل التالي:

الشكل رقم 6: العينات غير الاحتمالية

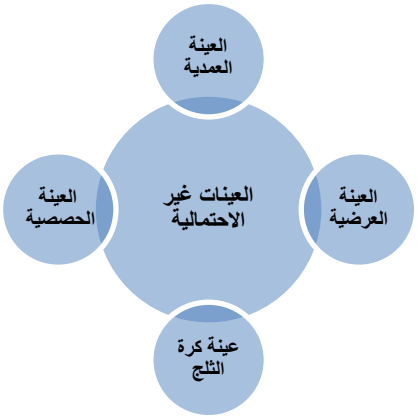

المصدر: من إنجاز أستاذ المادة

1.2 العينة العمدية:

تعريفها: هي عينة من العينات غير الاحتمالية، التي يتم السحب فيها بشكل غير عشوائي، أي بشكل مقصود. قد تسمى كذلك بالعينة القصدية، أو الغرضية، أو الهادفة، أو الحكمية.

متى تستخدم؟

. في حالة مجتمع غير معروف مثلا،
. مجتمع متجانس،
. الحاجة إلى النماذج المثالية من مفردات مجتمع البحث وليس أياكان،

كيفية استخراجها:

حسب حاجة البحث يقوم الباحث باختيار مفردات بحث محددة بعينها دون الأخرى. مثلا:

التضامن الاجتماعي في زمن كورونا كوفيد 19. هنا يختار الباحث عمديا المتطوعين لهذا التضامن تحديدا الذين استمروا في ذلك ومنذ البداية دون المتطوعين الظرفيين مثلا، وبأسماء محددة مثلا. وهذا لأن الفئة الأولى أكثر خبرة وبالتالي أكثر دراية وهو ما يوفر مستوى معلومات أفضل كما ونوعا.

2.2 العينة العرضية:

تعريفها: قد تسمى كذلك بعينة الصدفة، وهي نوع من أنوع العينات غير الاحتمالية التي يتم سحب مفرداتها بشكل غير عشوائي لكن عرضيا.

متى تستخدم؟

. في حالة مجتمع غير معروف وغير محدد،
. عدم إمكانية إيجاد مفردات البحث كلها أو الالتقاء بأفراد البحث كلهم، وعدم وجودهم في مكان وزمن محددين،

. مجتمع متجانس.

. قد تناسب أكثر بحوث سبر الآراء الموجهة للعامة،

كيفية استخراجها:

يأخذ الباحث مكانا معينا وزمانا معينا وكل من التقاه أو وجده صدفة يصبح مفردة عينة البحث، أو فردا من أفراد عينة البحث. هذا يشبه عمل الصحفي في الشارع مثلا وهو يقوم بسبر آراء حول قضية معينة.

3.2 العينة الحصصية:

تعريفها: هي عينة غير احتمالية متعددة الفئات أو الطبقات حسب مجتمع البحث وموضوعه. ويكون السحب فيها غير عشوائي أي مقصود.

متى تستخدم؟

غالبا في الحالات التالية:

. قد يكون المجتمع غير معروف وغير محدد،

. مجتمع غير متجانس.

. حاجة الباحث والبحث للنماذج المثالية للعينة،

كيفية استخراجها:

تشبه كثيرا العشوائية الطبقية، فهي تتكون من طبقات أو فئات يحترم في تشكيل العينة منها مبدأ الحصة والتناسب. تطبق نفس إجراءات الاختيار لكن بشكل مقصود، إما عمدا أو عرضا أو حتى بطريقة كرة الثلج.

4.2 عينة كرة الثلج:

تعريفها: هي عينة غير احتمالية، ويكون السحب فيها غير عشوائي أي مقصود. سميت كرة الثلج لأنها تكبر مثلا كرة الثلج من خلال جلب كل مبحوث لمبحوث آخر أو أكثر.

متى تستخدم؟

.في حالة مجتمع غير معروف وغير محدد،

. في حالة عدم توفر أي طريقة سحب مناسبة من الطرق المذكورة سالفا.

كيفية استخراجها:

كل مبحوث نقابله نكلفه بجلب مبحوث آخر أو أكثر إلى أن تكتمل العينة.

عموما هذه أنواع العينات المتفق عليها قد تتفاوت من حيث الحجم والمصداقية، ودرجة الدقة والثقة اللازمين للتعميم من عدمه، ونسبة ذلك ومساحته. إلا أنها أصبحت عنصرا بحثيا لا يمكن تجاوزه بالنظر للسهولة التي يتيحها في مجال البحث العلمي، ولإمكانية تحقيق نتائج ذات مصداقية بواسطتها فيما إذا احترمت الشروط الابستمولوجية والمنهجية في ذلك.

المحور الثاني: تقنيات البحث

سيتم التطرق في هذا المحور، قبل عرض أهم تقنيات البحث الأكثر توظيفا من طرف الباحثين وهي نفسها تلك المحددة في عرض التكوين كذلك، إلى مجموعة من العناصر البحثية المهمة ذات الصلة بهذه التقنيات. نتكلم هنا وبشكل جد ملخص عن شروط اختيار منهج أو تقنيات معينة، عن المناهج وبعض تصنيفاتها المتداولة وصولا إلى اقتراح تصنيف من طرف أستاذ المادة، يبدو أكثر عملية ومنهجية بناء على مجمل التصنيفات المذكورة وغير المذكورة، وبناء على إشكاليات وأسئلة ذات صلة يتكرر طرحها في ذلك.

بداية يمكن تقسيم هذا المحور إلى حوالي أربع محاضرات ملخصة في العناصر الأساسية للموضوع، على اعتبار أن تقنيات البحث موضوع المحور يتم تناولها بيداغوجيا، وبشكل مستمر تقريبا، في مستويات دراسية مختلفة محاضرة و/أو تطبيقا.

هذه العناصر الثلاث على صلة وطيدة فيما بينها كما سيتضح فيما بعد، فالمسار يبني منهجه، والمنهج يبني تقنيته أو تقنياته. وبهذا ستأتي محاضرات هذا المحور كما يلي:

المحاضر الثامنة: منهجية البحث: شروط وعناصر

المحاضرة التاسعة: تقنيات البحث: الملاحظة، المقابلة والاستمارة

المحاضرة العاشرة: تقنيات البحث: تحليل المحتوى و السوسيومتري

هكذا سيضمن هذا المحور بداية، فضلا عن تقنيات البحث، معلومات مهمة حول عناصر منهجية البحث التالية:

. مسار البحث،

. منهج البحث،

. تقنيات البحث

المحاضرة الثامنة: البحث السوسيولوجي الإمبريقي: شروط وعناصر

إن إنجاز أي بحث سوسيولوجي ينبغي أن يستند شرطيا إلى منهجية علمية متكاملة العناصر؛ مبررة ابستمولوجيا وواضحة ودقيقة منهجيا. فبحث يحمل صفة العلمية إذن هو بحث ممنهج، يتضمن في تحديد عام ثلاثة عناصر مترابطة، متلازمة ومنتقاة بصفة حذرة، دقيقة ومرنة هي: المسار، المنهج والتقنيات.

. مترابطة: أي بمثابة بناء من العناصر التي تكمل بعضها البعض، والتي لا يمكن أن تستغني، بأي شكل من الأشكال، عن بعضها البعض على المستوى الكلي وعلى مستوى الجزئيات، هذا يعني أنه من غير الممكن تصور مسار بحث دون منهج يفعله، أو منهج دون تقنيات تنفذه.

. متلازمة ما يعني أنه من غير الممكن قيام أي بحث سوسيولوجي بدون هذه العناصر مجتمعة ككل. وإن إنجاز عنصر معين من عناصر البحث لا يمكن أن يتم إلا بإنجاز العنصر الآخر المرتبط به لكي نتمكن من تسميته فعليا وعلميا كبحث علمي، فكل عنصر من هذه العناصر المتلازمة والمتسلسلة بحثيا مشروط بما قبله وشرط لما بعده.

. منتقاة لكل بحث سوسيولوجي مسار خاص به إلى حد ما، ومنهج وتقنيات تناسب طبيع الموضوع وطبيعة مجتمع البحث. فمن الناحية الابستمولوجية كما المنهجية، ينبغي أن ننتقي، بشكل مناسب وتفاضلي، عددا من العناصر المنهجية الممكنة التي تبدو أكثر مناسبة وفعالية لبحثنا. على مستوى أكثر ملموسية يعني هذا أن كل موضوع يبني خطته ومنهجه وأدواته المناسبة، تلك التي يجب تحديدها بصفة حذرة ودقيقة بناء على شروط اختيار وبناء وتوظيف صارمة.

أولا: الشروط:

يمكن تحديد الشروط العامة التي تحكم انتقاء، بناء وتوظيف هذه العناصر كلها كما يلي:

◄ الشرط الانطولوجي: ويتعلق الأمر هنا بالواقعين البحثيين؛ واقع الظاهرة الاجتماعية موضوع الدراسة، وواقع مجتمع البحث الذي تتم فيه و/أو عليه دراسة هذه الظاهرة. كما

ينبغي النظر إلى هذين العنصرين من الناحية الابستمولوجية، والإجرائية فيما بعد، في علاقتهما ببعضهما وليس بشكل منفصل.

◄ الشرط الابستمولوجي: وهو ما يخص مسار الانتقال من الوجود الاجتماعي للظاهرة موضوع البحث إلى وجودها البحثي، أي أنه انتقال ابستمولوجي من الاجتماعي إلى العلمي يشمل أفعالا وبناءات تتحقق بها صفة البحث العلمي، وهذا ما تجسده الثلاثية المنهجية الشهيرة، قطع ابستمولوجي، بناء وتحقيق، التي تعبر عن مضمون هذا الانتقال. على مستوى أكثر تحديدا نجد هذا المسار البحثي، هذا المنهج وهذه التقنيات كلها تتحدد انطلاقا من شروط ابستمولوجية صارمة على علاقة، كما أسلفنا، بطبيعة موضوع البحث وطبيعة مجتمع البحث.

◄ الشرط المنهجي: ويتعلق الأمر هنا بنوع المناهج والتقنيات الممكن توظيفها وكيفية ذلك وتنفيذه، وهذا يتحدد بدوره بالشرطين السابقين من ناحيتي الاختيار والبناء.

هكذا يمكن ملاحظة أن فهم هذه الشروط الثلاث، وحسن التقيد بمقتضياتها، يمكن اعتباره معيار اختبار فعال لجودة البحث العلمي ككل وجودة نتائجه.

الشكل رقم7: البحث السوسيولوجي: شروط وعناصر

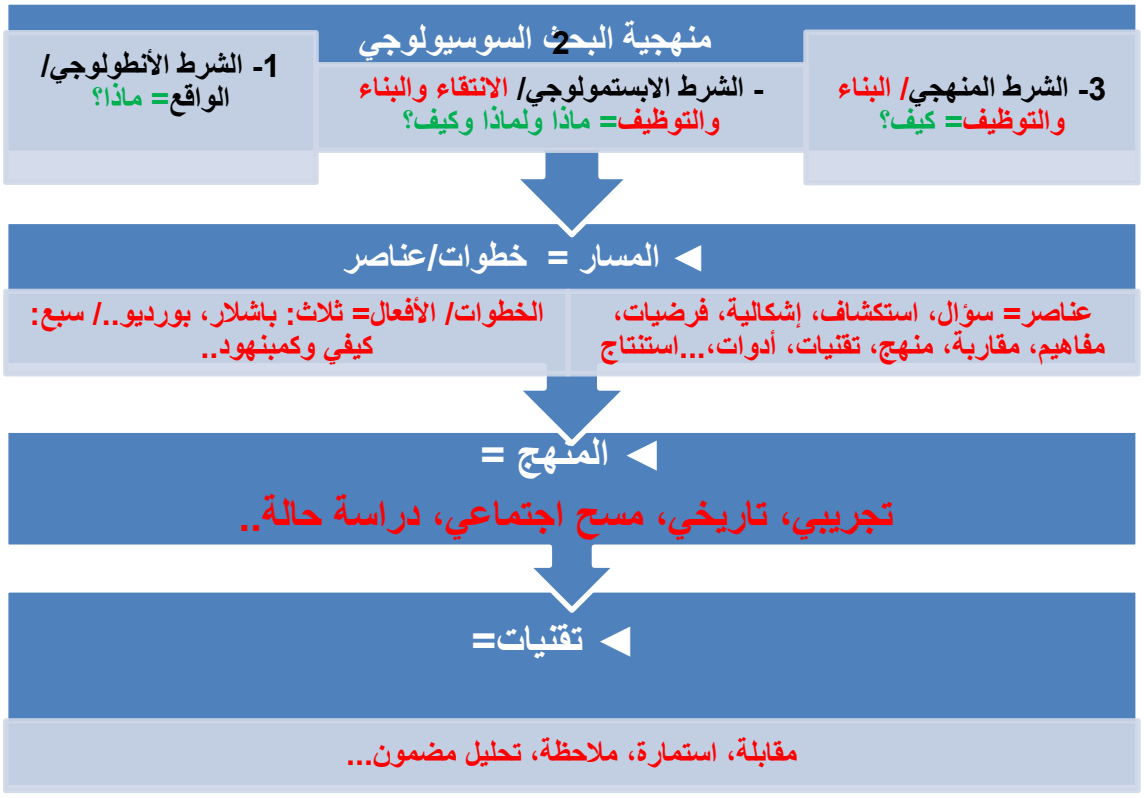

المصدر: من إنجاز أستاذ المادة

يلخص هذا الشكل جملة ما تم شرحه، مبرزا الشروط العامة والأساسية التي تحكم منهجية البحث العلمي السوسيولوجي تحديدا، وأن التقيد بصرامة بهذه الشروط وبمقتضياتها هو ما يمكننا من توصيف هذا العمل أو ذاك كبحث علمي أو غير علمي.

ترتبط بالشروط المذكورة جملة من الأسئلة التي ينبغي طرحها والإجابة عنها تسلسليا: فنتساءل بعمق، ماذا، بالنسبة للشرط الأنطولوجي عن واقع الظاهرة المدروسة والمجتمع المدروس وخصائصهما، في علاقة طبعا بموضوع البحث، كمرحلة أولى لتحقيق معرفة فضلى بالواقع تسمح في مرحلة تالية بانتقاء أفضل للأدوات البحثية وبنائها بشكل مناسب. هذا ما سيتيح لنا إمكانية الإجابة عن أسئلة ثلاث فيما بعد تخص الشرط الابستمولوجي، وهي: ماذا ولماذا للتبرير الابستمولوجي، وكيف بالنسبة للبناء. هكذا تتعدد أسئلة الشرط الابستمولوجي مقارنة بالشرط الذي يسبقه وبالشرط الذي يليه، الأمر الذي يبرز الوضعية المفصلية للسؤال

الابستمولوجي في البحث، قيمته المثلى وهيمنته على البحث ككل. فعل ابستمولوجي جيد إذن يعني مرافقة مناسبة للبحث من بدايته إلى نهايته، وتدخلا مناسبا بشكل أو بآخر في كل مرحلة من مراحله أو عنصر من عناصره. في مرحلة ثالثة نتساءل منهجيا بخصوص بناء أدوات البحث وتوظيفها، يتعلق الأمر تحديدا هنا بالمنهج والتقنيات وكل ما له صلة بهما، وهذا ما يجب أن يتحقق من خلال الشرط المنهجي.

ثانيا: العناصر

يتحدد البحث السوسيولوجي بعناصر بنائية عدة مترابطة، متداخلة ومتكاملة، يمكن تحديدها انطلاقا من التراكم المعرفي في مجال منهجية البحث السوسيولوجي في عناصر متسلسلة كبرى وأخرى صغرى، تبدأ بالسؤال وتنتهي بالاستنتاج.

لقد تم التطرق بالتفصيل لهذه العناصر، ولهذه المراحل، في السداسي الأول، وما يعنينا هنا هو مجموع العناصر ذات العلاقة بمنهجية البحث الميداني من مناهج وتقنيات وأدوات مختلفة ذات الصلة. هذه العناصر وهذه المراحل تحكمها من الناحية التنظيمية والتوظيفية منهجية بحثية محددة بشروط ابستمولوجية ومنهجية مناسبة، تأخذ بعين الاعتبار طبيعة موضوع البحث وطبيعة مجتمع البحث المراد دراسته، في علاقة بجملة الخصائص الابستمولوجية والمنهجية للمعرفة السوسيولوجية. لقد تم التطرق إلى هذا بالتفصيل كذلك في السداسي الأول بالنسبة للمراحل المنجزة، لكن وبالنظرلعلاقتها بكل مرحلة من مراحل البحث وكل عنصر من عناصره سيتم التذكير بها ومناقشتها في علاقة بما سيأتي.

هكذا يمكن تعريف منهجية البحث السوسيولوجي، عمليا، على أنها الإطار الذي يحكم البحث ككل، عناصره، مراحله وأدواته بشكل نسقي وممنهج وينظمها من البداية إلى النهاية، هذا من جهة. وتعرف بوصفها علما على أنها: " العلم الذي يدرس كيفية إجراء البحث علميا، بمعنى دراسة مختلف الخطوات التي يتخذها الباحث بشكل عام في دراسة مشكلته البحثية، ومنطق ذلك. فلا ينبغي أن يعرف الباحث المنهج والتقنيات فقط وإنما كذلك المنهجية" [1]

[1] C. R Kothari, **research methodology** : methods and techniques, second revised edition, new age international publishers, new delhi, 2004, p8

بناء على هذه الشروط وتقيدا بمقتضياتها يمكن تحديد العناصر الكبرى لمنهجية البحث السوسيولوجي الأساسية كما يلي:

1- مسار البحث: reaserch process/ Démarche de recherche

يمكن تعريف المسار المنهجي للبحث من خلال كيفي وكمبنهود، في تمييزهما للمسار عن المنهج، كما يلي: " المسار هو طريقة تطور باتجاه هدف. فعرض مسار علمي يفرض إذن وصف المبادئ الجوهرية التي ينبغي أن تكون موضوع تنفيذ في كل عملية البحث. المناهج ليست أكثر من كونها بناءات محددة للمسار، سبل مختلفة مصممة لتكون أكثر تكيفا مع الظواهر أو المجالات المدروسة. إلا أن شرط التكيف هذا لا يلزم الباحث أن يبقى على الدوام وفيا لتلك المبادئ الأساسية للمسار العلمي" [1]

يمكننا أن نلاحظ من خلال هذا التعريف بخصوص مسار البحث ما يلي:

. المسار إطار عام محدد للبحث يتضمن عدد من المراحل والعناصر التي تحقق هدفه،

. يحدد مسار البحث المبادئ العامة لسير البحث،

أم بخصوص المناهج فنلاحظ أنها:

. مجرد مكونات مميزة لهذا المسار،

. سبل مختلفة يتم تصميمها لتتكيف مع كل بحث،

. يمكن للباحث أن يعدل أو يطور في مناهج بحثه متى اقتضى ذلك موضوع بحثه.

يمكن تعريف مسار بحث علمي كذلك على أنه:" يتكون من سلسلة أفعال أو مراحل أساسية لإجراء بحث ناجح وتسلسل هذه الخطوات بالشكل المطلوب"[2]

يمكننا أن نستخرج من خلال هذا التعريف العناصر التعريفية التالية:

. يقوم مسار البحث على سلسلة من الخطوات أوالأفعال،

. ترتبط عناصر سلسلة هذا المسار فيما بينها جوهريا.

[1] François Dépelteau, **La démarche d'une recherche en sciences humaines** : de la question de départ à la communication des résultats, 2e édition, Presses de l'université Laval, Québec, 2011, P 247

[2] C. R Kothari, **Ibid**, p10

يمكن تعريف مسار البحث العلمي بكل هذا بوصفه العملية البحثية الكلية التي تتضمن خطوات وعناصر تفصيلية مميزة ومتكاملة ، يبدأ بسؤال لينتهي إلى استنتاجات. يمكننا أن نلاحظ عموما أن المختصين في منهجية البحث العلمي متفقون حول الإطار العام لهذا المسار لكن مع بعض الاختلافات على مستوى التفاصيل. غاستون باشلار مثلا يقسم ذلك لثلاث مراحل أساسية: القطيعة الابستمولوجية، البناء، التحقيق. مثل ذلك نجد بيار بورديو يتكلم في كتابه "حرفة عالم الاجتماع" عن ثلاث أفعال أساسية للمسار: القطع، البناء، التحقيق. كما يمكننا أن نقرأ لعدد من المختصين والسوسيولوجيين تقسيمات تفصيلية مختلفة لهذه المراحل الثلاث، قد يعتبر العمل الذي قدمه ريمون كيفي ولوك فان كمبنهود في كتابهما الشهير: " دليل الباحث في العلوم الاجتماعية" عملا أكثر عملية ودقة بالنظر لأهمية العناصر السبع التي أشاروا إليها ودقة ذلك. فيبدأ مسار البحث عندهما من سؤال الانطلاق، مرورا بالاستكشاف، ثم الإشكالية، النموذج التحليلي، المعاينة، التحليل وصولا إلى الاستنتاجات في آخر البحث.

2- منهج البحث:

1.2. المفهوم والخصائص:

كل بحث سوسيولوجي يبني منهجه، تقنياته وأدواته انطلاقا من موضوعه وميدانه المجتمعي، هذا ما يمكن قراءته ابستمولوجيا ومن خلال تجارب بحثية متكررة.

المنهج عنصر بحثي مركزي يمكننا من تصور مناسب لسير البحث من بدايته لنهايته في إطار مسار محدد، وهو يتضمن بالإضافة لصورة خاصة بالبحث، مجموعة عناصر إجرائية وميدانية تطبقه.

إنه: " تركيبة محددة لمسار بحث معين. بما يعني أنه مرتبط بمسار بحث مخصوص" [1]، أي أن المنهج يتحدد بالمسار البحثي الذي يتبعه. وأنه: " مجموعة العمليات المنظمة التي تسعى لبلوغ هدف.."[2]. يشير هذين التعريفين إلى التعريف الابستمولوجي للمنهج، لكن كذلك إلى ارتباط المنهج بالمسار، وأنه يتضمن عمليات في إطار هدف محدد سلفا.

[1] François Dépelteau, Ibid, p248

[2] موريس أنجرس، منهجية البحث العلمي في العلوم الإنساني: تدريبات عملية، مرجع سابق، ص 98

تزخر الكتابات المنهجية بتصنيفات مبدئية كثيرة ومتنوعة، بل وغير دقيقة أحيانا للمناهج، وهذا يمكن فهمه انطلاقا من التصنيفات الفلسفية والمعرفية التأسيسية التي أخذت ، في بعض الأحيان اتجاهات متناقضة، لكن شيئا فشيئا اتجه الأمر أكثر فأكثر إلى الاعتراف المتبادل نتيجة تطور السوسيولوجيا ككل، وكنتيجة للدراسات والتجارب التي صححت بعض المفاهيم وطورت تصوريا وتطبيقيا هذه التصنيفات إلى مستوى تصوري تركيبي وإجرائي. فعلى مستوى أكثر فلسفية يمكننا أن نتكلم عن تصنيفات مثل المنهج الاستقرائي والمنهج الاستنباطي.، وهنا نتساءل عن كيفية نشوء المعرفة، كما قد نتكلم على مستوى أكثر عملية و أكثر إجرائية عن المنهجين الكمي والكيفي، وهذا مرتبط بسؤال الكم والكيف وقدرة كليهما على تحقيق أكبر قدر من المصداقية للمعرفة العلمية. لكن على مستوى أكثر ملموسية وأكثر إجرائية، أي عندما تتم الإشارة إلى المنهج بوصفه: " طريقة تصور وتنظيم للبحث.." [1] ، أو بوصفه عنصرا بحثيا: "..يتضمن مجموعة إجراءات وتقنيات خاصة.."[2]، فللمنهج التاريخي مثلا طريقة عمله وتقنياته مثل استعمال الوثائق والشواهد والنقد وتقنية المقابلة..، ونفس الشيء بالنسبة لمنهج المسح الاجتماعي مثلا الذي يوجهنا للاختيار بين طريقتين بحثيتين المسح الشامل أو المسح بالعينة، ويحدد لنا التقنيات المناسبة لذلك كالاستمارة مثلا، أو الملاحظة والسجلات..نجد أن تصنيفات المناهج هنا تصبح أكثر عملية وأكثر إجرائية، كما أن التعريف يصبح أكثر قربا من المعرفة السوسيولوجية وأكثر تطابقا مع خصوصيتها.

على هذا المستوى العملي يعتبر مسار بحث سوسيولوجي إذن تركيبة تصورية تطبيقية من ثلاثة عناصر بنائية أساسية لا يمكن تجاوزها وهي:

. المنهج: بوصفه العنصر البحثي التصوري الذي يحدد العمليات، التقنيات والأدوات والكيفية،

. التقنيات: المسعى التطبيقي للمنهج الذي يطبق مبادئ المنهج وتوجيهاته، أي أنها العنصر الذي يسمح بتنفيذ مقتضيات المنهج جمعا للمعلومات وتنظيما لها،

[1] نفس المرجع، ص 98

[2] نفس المرجع، ص99

. الأدوات: وهي مجموع العناصر المنهجية التي تساعد التقنيات في جمع المعطيات، تنظيمها، عرضها وتحليلها. من ذلك الأدوات الإحصائية مثل الجداول الإحصائية..إلخ.

فإذا كان المنهج يحدد الجانب التصوري للبحث في إطار مسار، فإن تقنيات المنهج وأدواته تمثل الجانب المنهجي الإجرائي لهذا البحث من جمع للمعطيات وتنظيمها وعرضها وتحليلها.

للمنهج عدة تصنيفات، بعضها متفق عليه وبعضها الأخر مختلف فيه، ويرجع ذلك غالبا إلى المنطلقات الفكرية والابستمولوجية، وإلى حد ما إلى عمق معارفهم كذلك، وحتى إلى طبيعة تجاربهم الدراسية والبحثية. يمكن فهم كل ذلك في علاقته، في النهاية، بالطبيعة المعقدة للمعرفة السوسيولوجية.

2.2. بعض أهم تصنيفات المناهج:

يمكننا أن نقدم بعض هذه التصنيفات انطلاقا من كتاب أحمد بدر: " أصول البحث العلمي ومناهجه" كما يلي[1]:

◄ تصنيف هويتني F. L Whiteny:

ورد في كتابه المنشور سنة 1950 بعنوان: " The elements of research" التصنيف التالي:

. المنهج الوصفي: ويمكن الإشارة إلى بعض أهم العناصر التي ذكر أنه يتضمنها كما يلي:

- المسح،
- دراسة الحالة،
- البحث المكتبي.

. المنهج التاريخي:

ويتضمن بشكل أكثر أهمية الوثائق التاريخية من خلال جمعها، نقدها وتحليل مضمونها، ثم تركيب الحقائق التاريخية المتحصل عليها بفعل هذه العمليات فيما بينها للوصول إلى مستوى من الفهم والتفسير العلميين المناسبين للحاضر والماضي.

[1] انظر: أحمد بدر، **أصول البحث العلمي ومناهجه**، ....، ص 227-234

. المنهج التجريبي:

ويقوم على مجموعة عناصر وعمليات مناسبة تختلف من علم لأخر. بشكل عام يتضمن:

- الملاحظة،
- الفرضيات،
- التجربة،
- الاستنتاج.

. البحث الفلسفي:

. البحث التنبؤي:

. البحث الإبداعي:

. البحث الاجتماعي:

نلاحظ هنا خلط بين مفهوم منهج وبحث، وهذا غير صحيح لأن المنهج ليس البحث، وأن المنهج هو عنصر فقط من عناصر البحث.

◄ تصنيف ماركيز D. MARQUIS:

يصنف ماركيز المناهج في كتابه: " Scientific methodology in human relations" إلى ستة أنواع:

. المنهج الأنثروبولوجي:

. المنهج الفلسفي:

. المنهج التاريخي:

. منهج دراسة الحالة:

. منهج المسح:

. المنهج التجريبي:

يشير صاحب التصنيف إلى مناهج عدة لمعارف عدة، أي ليست بالضرورة كلها سوسيولوجية.

◄ تصنيف جود وسكيتس Carter V. Good and Dauglas Scates:

يقدمان تصنيفا خاصا بهما في كتابهما: " Method of research "كما يلي:

. المنهج التاريخي:

. المنهج الوصفي:

. المسح الوصفي:

. المنهج التجريبي:

. منهج دراسة الحالة والدراسات الإكلينيكية:

. دراسات النمو والتطور والوراثة:

ما يلاحظ على هذا التصنيف هو أنه يخلط كذلك بين مفهوم منهج ومفهوم دراسة، كما يخلط بين المعارف ولا يضع حدودا فاصلة بينهما خاصة أن البحث أو الدراسة أعم من المنهج، أي أنها تشمله كعنصر فقط من مجموع عناصرها، كما أن بعض المعارف هنا ليست سوسيولوجية.

نقرأ كذلك عدة تصنيفات عربية وأجنبية أخرى تتضمن بعض أهم التقاطعات والإشكاليات على مستوى المفهوم والعناصر، قد يجانب بعضها الصواب أحيانا أو قد يتعرض للكثير من النقد على الأقل، بينما بعضها الأخر قد يعتبر أكثر قربا من حقائق التطبيقات البحثية، والابستمولوجية في مجال السوسيولوجيا. فنقرأ مثلا تصنيفات مادلين غرافيتز في كتابها: " مناهج العلوم الاجتماعية: منطق البحث في العلوم الاجتماعية" عرضا متعدد الخلفيات والأبعاد، فإضافة للخلط المفاهيمي بين مفهومي دراسة ومنهج، نجدها تعرض لنا في فصل" نزاعات المناهج" عدة عناصر معرفية على صلة بموضوع المنهج، لكن دونما وضوح يفيد بالفصل فيما بينها، مثلا الدراسات السببية والدراسات الوصفية، المنهج التجريبي والمنهج السريري، المنهج الكمي والمنهج الكيفي. لتخلص في الفصل الثاني، الجزء الثالث وتحت عنوان" مناهج مقترحة لبلوغ التفسير" إلى أنواع المناهج التالية[1]:

[1]للتفصيل انظر:
مادلين غراويتز، **مناهج العلوم الاجتماعية**: منطق البحث في العلوم الاجتماعي، تر: سام عمار، مراجعة: فاطمة الجيوشي، ط1، المركز العربي للتعريب والترجمة والتأليف والنشر، دمشق، 1993، ص 98-129

. المنهج المقارن

. المنهج التاريخي،

.المنهج التكويني،

. المنهج الوظيفي،

. المنهج البنيوي،

. التحليل النظامي،

. المنهج الجدلي

قد نعتبر تصنيف مادلين غرافيتز الأكثر تعقيدا من كل التصنيفات المقترحة بالنظر لعدم فصله بين المناهج على أساس البعد الابستمولوجي، أي خلفياتها الفلسفية والنظرية والعلمية، وبين المناهج المطبقة تحديدا في علم الاجتماع بوصفها مجموعة العمليات والعناصر المنظمة لبلوغ الاستنتاج. ولهذا فإن تصنيفها فلسفي ابستمولوجي أكثر منه منهجي عملي[1].

كما نقرأ مثلا في كتاب موريس أنجرس المترجم: " منهجية البحث العلمي في العلوم الإنسانية" تصنيفا في ثلاثة مناهج كبرى " نموذجية" هي[2]:

. المنهج التجريبي:

. المنهج التاريخي:

. منهج التحقيق الميداني:

هكذا ما يمكننا أن نلاحظ من خلال تصنيفي هويتني وجود وسكيتس، خاصة، إضافة لتصنيفات أخرى، هو خلطهما بين المفاهيم، أي أنهما يضعان المنهج في نفس تصنيف البحث أو الدراسة، بينما هناك فرق شاسع وواضح بين مفهوم منهج ومفهوم بحث أو دراسة. وهذا ما يمكن إرجاعه من جهة ربما لقدم هذه التصنيفات من جهة لكن كذلك للاختلافات

[1] لمزيد من التفصيل انظر:
مادلين غرافيتز، نفس المرجع، الفصل الأول والثاني

[2] انظر:
موريس أنجرس، **منهجية البحث العلمي في العلوم الإنسانية**: تدريبات عملية، تر: بوزيد صحراوي وكمال بوشرف وسعيد سبعون، ط2، دار القصبة للنشر، الجزائر، 2006، ص 102- 107

في مجال المفاهيم والانتماءات المعرفية وربما للتجارب البحثية لكل من هؤلاء، يظهر هذا على الأقل من خلال دلالة بعض هذه التصنيفات التي تبدأ بالمنهج وتنتهي بالبحث.

هكذا إذن ينبغي على طالب السوسيولوجيا والباحثين المختصين أن يلاحظوا باستمرار وبدقة أن هناك خلط في هذه التصنيفات وإشكاليات يمكن إرجاعها ربما لثلاثة عناصر أساسية:

. على مستوى أكثر اتساعا وأكثر مبدئية، قد نتكلم عن المنطلقات الابستمولوجية والفلسفية للمختصين والمهتمين بالمعرفة السوسيولوجية وبمنهجيتها تحديدا، لكن كذلك لمجموع أولئك المهتمين بالمعارف القريبة أو المعارف الأشمل، أي العلوم الإنسانية والاجتماعية بشكل عام. وهذا بالنظر لعدم التمكن لحد اليوم من الإجابة عن بعض أهم أسئلة المنهج في علم الاجتماع خاصة وفي العلوم الاجتماعية والإنسانية بشكل عام، أو الاتفاق على مفاهيم وتصنيفات واختيارات محددة،

. اختلافات منهجية وابستمولوجية، في نطاق أقل اتساعا وأكثر عملية، في ميدان المعرفة السوسيولوجية. وتبرز هنا عدد من الأسئلة والاختلافات في المفهوم مثلا، أين نلاحظ بعض الخلط المفاهيمي بين مفهومي المنهج والبحث والدراسة مثلا، أو فيما يتصل بما يمكن تعريفه على أنه منهج أو مجرد طريقة بحث أو أسلوب تابع لمنهج معين، أو عل مستوى التصنيف، وهذا ما نلاحظه مثلا من خلال التصنيفات المذكورة وعلى مستوى الاختيارات البحثية للمناهج والطرق والأساليب والتقنيات. نلاحظ ذلك بوضوح من خلال الدراسات والبحوث التي تمت، أو تلك المقترحة كمشاريع،

. اختلافات عملية قد ترجع للتجارب المعرفية والبحثية تحديدا، فلكل باحث تجربة واختيارات، أو حتى فترة زمنية، أو زمن معرفي واجتماعي وبحثي خاص إلى حد ما، أو عمق معرفي وتمكن يميزانه عن غيره من الباحثين. وهذا ما يطبع معارفه وتجاربه ذات الصلة بالتخصص، أوبالدراسات والبحوث التي تم إجراؤها، أوبالمناهج التي تم اعتمادها.

يمكننا انطلاقا من هذه الصورة الملخصة جدا لموضوع تصنيفات المناهج أن نقترح على مستوى أكثر ملموسية وعملية تصنيفا للمناهج السوسيولوجية يبدو مناسبا خاصة أنه مبني

على تكرار ورود هذه المناهج في عدد من البحوث والدراسات، وفي تصنيفات مشابهة كبعض الذي ذكر، وذلك كما يلي:

. المنهج التجريبي،

. المنهج التاريخي،

. منهج المسح الاجتماعي،

. منهج دراسة الحالة.

مع ملاحظة أن هذا التصنيف المقترح هو تصنيف من ضمن مجموعة تصنيفات متعددة يتفق على بعضها ويختلف على بعضها الأخر، بافتراضنا أن المناهج المذكورة فيه هي الأكثر تداولا، وربما الأكثر دقة والأكثرعملية وسوسيولوجية.

3- التقنيات:

يمكن تعريفها على أنها عنصر بنائي مهم من عناصر مسارالبحث والمنهج. أي من خلال دورها في البحث، وعلاقتها بالمنهج، ومن خلال تطبيقها وأدواتها كذلك. فمن خلال دورها في البحث تعتبر أداة من أدوات البحث يتم الاستعانة بها في جمع المعطيات، ومن خلال علاقتها بالمنهج قد تعرف على أنها: "مجرد أداة جمع للمعطيات لا تمتلك العمق الابستمولوجي للمنهج.."[1] . أي أنها مجرد أداة تطبيقية بحاجة لعمق ابستمولوجي يتحقق من خلال المنهج. أما من خلال تطبيقها البحثي فنجدها توظف بطريقة خاصة بها، وبأدوات مميزة تتحدد بخصوصية موضوع البحث، مجتمعه ومعطياته، و كذلك بخصوصية التقنية في حد ذاتها.

ولأننا سنخصص محاضرة أو اثنتين على الأقل بشيء من التفصيل لموضوع تقنيات البحث، سنكتفي في هذه المحاضرة بالإشارة فقط إلى أهم هذه التقنيات وأكثرها شهرة مفهوما وتطبيقا دونما تفصيل كما يلي:

[1] François Dépelteau, Ibid, p249

. الملاحظة،

. المقابلة،

. الاستمارة،

. تحليل المحتوى،

. السوسيومتري.

المحاضرة السادسة عشر: تقنيات جمع المعلومات

1. ما ذا نعني بتقنية بحث؟

تأتي تقنيات البحث مباشرة بعد منهج البحث، وفي إطاره كمسعى تطبيقي له، ويتم اختيارها على أسس ابستمولوجية ومنهجية مناسبة.

تعرف تقنيات جمع المعلومات على أنها:" مجموعة إجراءات وأدوات التقصي المستعملة منهجيا[1]"

تتعدد تقنيات البحث إذن، ويتم اختيارها مفاضلة فيما بينها وفق ما تقتضيه خصوصية موضوع البحث ومنهجه ومجتمع البحث كذلك، تبنى وتطبق وفق مجموعة إجراءات وأفعال تسمح بداية بالتحقق من قيمتها المعرفية والإجرائية للبحث، لكن كذلك على أساس إمكانية تطبيقها بشكل مناسب لميدان بحث معين.

يمكن ذكر أهم هذه التقنيات كما يلي:

. الملاحظة بأنواعها مباشرة وغير مباشرة.

. المقابلة بأنواعها فردية/ بؤرية..

. الاستمارة بأنواعها..

وضمن التقنيات في البحث السوسيولوجي يذكر كذلك:

. تحليل المحتوى بنوعيه الكمي والكيفي.

[1] موريس أنجرس، المرجع السابق، ص184

. السوسيوميتري..

2. شروط الاختيار والمفاضلة:

هناك مجموعة من الشروط التي تحكم اختيار تقنية بحث معينة من ضمن كل التقنيات المتاحة، أو حتى تقنيتين أو أكثر وفقا لمبدأ المرونة المنهجية، ويمكن تحديدها أساسا كما يلي:

. تناسب طبيعة البحث: هناك مثلا بحوث كمية وكيفية لكل منها ما يناسبه من تقنيات، أي هناك كذلك تقنيات كمية وأخرى كيفية. كما أنه حتى ضمن كيفي على حدا أو كمي هناك ما يناسب من تقنيات وما لا يناسب، منهج دراسة الحالة مثلا تناسبه أكثر المقابلة والملاحظة بالمشاركة. معنى ذلك أن الباحث مكلف معرفيا ومنهجيا بتدقيق اختيار تقنياته وفق خصوصية بحثه الابستمولوجية.

. تناسب طبيعة المنهج المختار: لكل منهج تقنيته المناسبة، أو تقنياته. يعني ذلك أن هذه التقنية أو تلك هي مجرد أداة أو مسعى تطبيقي لمنهج مناسب تتبعه، ولا تناسب أي منهج كان. هذا ما يعني خاصة أن الباحث مطالب باختيار تقنية بحثه وفق خصوصية بحثه الإجرائية.

. تناسب طبيعة مجتمع البحث: لكل مجتمع بحث خصوصية، يعني ذلك أن هناك مجتمع بحث تناسبه هذه التقنية، أو هذه التقنيات دون الأخرى، وآخر على العكس من ذلك. مثلا: مجتمع بحث من الشبان الصغار السن، أو من الأطفال الذين يمكننا أن نتوقع أنهم سيعبثون بالاستمارات أو أن لا يتمكنوا من فهمها وتعبئتها كما يجب..، أو حتى من بعض كبار السن الذين هم بدون مستوى دراسي يؤهلهم للفهم والكتابة..، فهؤلاء جميعا لا يمكن أن تناسبهم الاستمارة. نفس الشيء بالنسبة لخصائص مجتمعية أخرى يمكن أن يظهرها الاستكشاف منذ البداية على أنها ممكنة الدراسة بواسطة هذه التقنية أو تلك. إذن عملية الاختيار جد مهمة منذ مرحلة الاستكشاف، ويتواصل اهتمامنا بهذا ويتعمق كلما تقدمنا في البحث وصولا إلى مرحلة التحقيق وجمع المعلومات ميدانيا.

. ولأن تأثير هذه الشروط الثلاثة يتم كذلك بشكل متداخل ومتبادل فيما بينها ابستمولوجيا وإجرائيا، فعلى الباحث أن يأخذ بعين الاعتبار اختياره لتقنية، أو تقنيات بحثه هذه بأخذه بعين الاعتبار للطبيعة المتداخلة لهذه الشروط، أي أن اختياره لذلك يتم بالتفكير في كل هذه الشروط معا، بالترتيب لكن في نفس الوقت.

ملاحظة: يتم التطرق فصيلا لهذه التقنيات في التطبيق

المحاضرة السابعة عشر: تقنيات البحث: بين الكم والكيف

هناك علاقة وطيدة كما أسلفنا بين طبيعة موضوع البحث وأهدافه من حيث هو كمي وكيفي مثلا، ومن ذلك طبيعة الظواهر التي سيدرسها، طبيعة المعلومات التي سيجمعها، طبيعة الاستنتاجات التي سيصل إليها ومستوى التعميم المطلوب..، وطبيعة المنهج المتبع..، واختيار تقنية البحث المناسبة. فإذا كان المنهج كميا ينبغي أن نختار له تقنية أو تقنيات كمية، وإذا كان كيفيا ينبغي كذلك أن نختار له تقنية أو تقنيات كيفية.

إن ملاحظاتنا السابقة على أعمال الكثير من الطلبة سواء على مستوى بحوث تم تكليف الطلبة بها، أو حتى على مستوى مذكرات الماستر، أظهرت أن هناك الكثير من الخلط في هذا المجال، وعدم تحكم، أو انتباه إلى أهمية خصوصية التقنية في ضوء خصوصية المنهج والبحث ككل. وهذا ما يجعل من البحث غير ممكن من الناحيتين الابستمولوجية والإجرائية معا. مثلا: المقابلة تقنية كيفية لا يمكن اختيارها ضمن بحث كمي ومنهج كمي، ونفس الشيء بالنسبة للاستمارة، فهي تقنية كمية لا يمكنها أن تقدم أي قيمة ممكنة للبحث الكيفي مثل دراسة الحالة، أو دراسة تتبعية تلريخية..، حتى وإن احتوت بعض الأسئلة الكيفية على شاكلة أسئلة المقابلة أو قريبا منها، لكن سيجري ضمن هذه الخصوصية تكييفها حتما لطبيعة البحث والمنهج.

يلاحظ بشكل عام أن مسعى معرفيا قد تأسس، منذ مدة غير قصيرة، للإجابة عن أسئلة الكم والكيف في علم الاجتماع محاولة لتجاوز طبيعتها التعقيدية، والتي يمكن تصنيفها غالبا على أنها ذات طبيعة أيديولوجية أكثر منها علمية، هذا ما يعني أن البحث السوسيولوجي حاليا كمي أو كيفي، أو كمي كيفي صار ممكنا بالنظر لتمكن المختصين من تجاوز هذه الطبيعة الأيديولوجية والتعسفية لهذا التقسيم. فنجد أن بحثا كيفيا يتضمن عناصر وأساليب وأدوات كمية، والعكس صحيح كذلك بالنسبة لبحث كمي، لكن على مستوى كلي وقاعدي تظل لكل بحث تقنياته وإجراءاته المناسبة التي بواسطتها يمكنه الوصول لنتائج مقبولة علميا.

الجدول التالي يوضح توزيع التقنيات بين الكم والكيف، وتناسب ذلك باختصار(الجدول مقتبس بطريقة تصويرية).

الجدول رقم (4-2): التناسب بين الاتجاهات

الكمية والكيفية وطرق جمع البيانات

الاتجاه	طرق جمع المادة
الكمى	المسوح والاستبيانات التى توجه نفس الأسئلة عادة لأعداد كبيرة من الأفراد أو الحالات.
	توفر البيانات الكمية الثانوية التى ستجرى عليها مزيد من التحليلات.
	تحليل المضمون: حساب عدد فئات من الكلمات أو الأفكار الواردة فى مواد مكتوبة أو منطوقة.
	الملاحظة: حساب عدد حدوث وقائع معينة.
	سجلات أو استمارات لكل حالة تحوى معلومات مقننة سلفا.
الكيفى	مقابلات شبه مقننة أو غير مقننة: تسمح للمبحوثين بالحديث عن مجموعة من الأسئلة أو الموضوعات بأسلوبهم الخاص.
	جماعات المناقشة المركزة (البؤرية): مناقشة شبه مقننة يتولى إدارتها شخص مع عدد قليل من الأفراد.
	جمع وثائق تتعلق بأسئلة البحث، وطرح أسئلة انطلاقا من تلك الوثائق.
	السرد: جمع القصص والروايات التى يحكيها الناس لتحليل كيفية الإدلاء بتلك القصص.
	الملاحظة المشاركة أو غير المشاركة لموقف أو سياق اجتماعى معين.

المصدر: بوب ماتيوز وليز روس، الدليل العملي لمناهج البحث في العلوم الاجتماعية، تر: محمد الجوهري، ط1، المركز القومي للترجمة، القاهرة، 2016، ص 317

المحور الرابع: أهم تقنيات البحث

قد يختار الباحث بالنسبة للبحث الواحد، وفق الشروط المذكورة، تقنية واحدة أو أكثر من تقنية، وهذا ما يسمح به مبدأ المرونة المنهجية المعترف به منهجيا، فتكون بذلك للبحث تقنية مركزية أساسية، وتقنية أو تقنيات أخرى ثانوية، أو يمكن تسميتها بتقنية مساعدة أفضل بالنظر لكونها تتيح تحصيل معلومات تفصيلية أو جزئية..، تساعد على التحليل والمقارنة والتفسير. هذا وهناك تقنيات تقص مباشر مثل المقابلة والاستمارة التي يتم العمل بها مباشرة وميدانيا مع المبحوثين، ونوع معين من الملاحظة مثل ملاحظة السلوك، وتقنيات أخرى للتقصي غير المباشر، أو حتى تقنيات مساعدة لتقنيات أخرى في مرحلة معينة من سير البحث، مثل: الملاحظة غير المباشرة على السجلات، وتحليل المحتوى. تحليل المحتوى يستخدمه الباحث مثلا كتقنية مساعدة لتقنية المقابلة، أو حتى لتقنية الاستمارة والملاحظة عندما يتعلق الأمر بتنظيم وتحليل النصوص المسجلة من خلال الأسئلة المفتوحة وتلك المسجلة نصيا من خلال الملاحظة.

ومن أهم هذه التقنيات يمكننا عرض أهمها في المحاضرات التالية

المحاضرة الثامنة عشر: الملاحظة:

هي تقنية مهمة وقديمة استخدمت منذ البداية في العلوم التجريبية، لكن جرى تكييفها وتوظيفها بما يناسب طبيعة كل علم من العلوم، ومن ذلك علم الاجتماع. وهي تقنية للتقصي المباشر وغير المباشر في نفس الوقت. فعندما نستخدمها للملاحظة المباشرة والميدانية للسلوك تكون تقنية للتقصي المباشر، وعندما نستخدمها لملاحظة الأرقام والسجلات والإحصائيات..، فهي بهذا تقنية للتقصي غير المباشر. إنها أكثر أهمية وتناسبا مع هذا البحث أو ذاك دون غيرها، لكنها أكثر التقنيات استخداما في كل البحوث، أي على الأقل في مراحل التفكير في الموضوع وقطعه ابستمولوجيا.

- المفهوم:

هي تقنية بحث علمي تتم بطريقة التقصي المباشر وغير المباشر على الأفراد والجماعات ميدانيا، أو على السجلات والإحصائيات التي تخصهم.

- الشروط:

. شرط اختيار: وتخص مدى ملاءمة هذه التقنية لموضوع البحث، لمنهجه ولمجتمع بحثه،

. شرط بناء: لا تتم الملاحظة العلمية إلا من خلال بنائها في شكل دليل ملاحظة انطلاقا من فرضيات البحث والتحليل المفهومي الذي يتبعها، هذا ما يجيبنا عن سؤال ماذا ألاحظ تحديدا،

. شرط إجراء: يحضر الباحث ملاحظته وفق شبكة ملاحظة مبنية بعناية واهتمام بما يناسب خصائص مجتمع بحثه خاصة، ومجموع الظروف المحيطة بالبحث زمانية ومكانية معا، وهذا ما يتحدد خاصة وفق أسئلة مثل: ماذا، لماذا، كيف ومتى..

- الخصائص:

بشكل عام يمكننا تسجيل أهم خصائصها كما يلي:

. تعتبر أساسية، وفي أحيان أخرى مساعدة تقريبا في كل بحث سوسيولوجي، ولو في مرحلة معينة من مراحله؛

. هي تقنية كمية وكيفية في نفس الوقت، أي قد نستخدمها في إطار بحث ومنهج كميين من خلال الأرقام والسجلات وملاحظات السلوك والعد، لكنها كذلك كيفية عندما نسجل بواسطتها نصوصا ومعلومات تخص ملاحظة السلوك ميدانيا ومن خلال اللغة المستخدمة من طرف المبحوثين..؛

. الملاحظة البحثية ملاحظة علمية ومنظمة: من حيث الإجراءات من جهة، لكن كذلك من حيث المحتوى. فهناك شبكة ملاحظة ودليل ملاحظة تم بناؤهما وتحضيرهما بعناية وفق خصائص البحث وفرضياته ينبغي التقيد بهما بصرامة.

. هي تقنية للتقصي المباشر بملاحظة مباشرة وميدانية على السلوك، لكنها كذلك تقنية للتقصي غير المباشر عندما تتم على السجلات والإحصائيات..، فهي بهذا نوعي ملاحظة: ملاحظة مباشرة للسلوك وتكون عادة كيفية تسمح:" بسحب كيفي بهدف فهم المواقف والسلوكات"[1]. وهي ملاحظة منظمة ومبنية سلفا وفق خصائص وإجراءات، وقد تهيمن عليها أحيانا أخرى طريقة السحب الكمي حسب الموضوع والخصائص. الملاحظة المباشرة قد تكون ظاهرة أو مستترة، مباشرة أو غير مباشرة. لدينا كذلك الملاحظة غير المباشرة التي تتم على السجلات والإحصائيات المنتجة سلفا، كملاحظة سجلات التلاميذ بالمدرسة، وسجلات الأداء والعمل بالمؤسسة، سجلات الزواج والطلاق بالبلديات والمحاكم..

[1] موريس أنجرس، المرجع السابق، ص 184

- التناسب:

. كميا: ملاحظة على السجلات والإحصائيات الموجودة سلفا، ملاحظة مباشرة لعد تكرارات سلوك معين أو وقائع معينة،

. كيفيا: ملاحظة مباشرة أو غير مباشرة لأي سلوك أو سياق اجتماعي معين، ويتم ذلك بتسجيل لغوي فهمي لذلك.

. تناسب حسب الموضوع وحسب المنهج، لكل موضوع منهجيته ومن ذلك تقنياته، ولكل منهج كذلك تقنياته المناسبة التي تطبق مقتضياته.

- دليل الملاحظة: ويتضمن مجموع المشاهدات التي ينبغي إجراؤها ميدانيا، ويبنى انطلاقا من فرضيات البحث من خلال تحليل مفهومي مناسب لمتغيراتها.

المحاضرة التاسعة عشر: المقابلة

هي تقنية كيفية بالأساس، يتم اختيارها على هذا الأساس تطابقا مع خصائص البحث الكيفي، ومع بعض عناصره المهمة، المنهج تحديدا. وغالبا ما تكون تقنيته الأساسية، بالنظر لخصائصها التي تمكن الباحث من التعمق أكثر في تقصي المعلومات الممكنة. فهي، مقارنة بالتقنيات الأخرى، ذات أهمية أكثر في حالة البحث الكيفي والبحث المعمق، وغالبا حينما يكون كذلك مجتمع البحث أوليا أو أنثروبولوجيا لكن بظواهر معقدة، تاريخية، نموذجية وذات صلة بالجوانب الذاتية والعقائد والاتجاهات..

- المفهوم:

يعرفها موريس أنجرس على أنها:" تقنية مباشرة للتقصي العلمي تستعمل إزاء الأفراد الذين تم سحبهم بكيفية منعزلة، غير أنها تستعمل، في بعض الحالات، إزاء المجموعات من أجل استجوابهم بطريقة نصف موجهة والقيام بسحب عينة كيفية بهدف التعرف بعمق على المستجوبين"[1]

يفيد هذا التعريف بأن المقابلة:

. تقنية كيفية،

. تستعمل مع الأفراد،

. وتستعمل مع المجموعات كما في حالة المقابلة البؤرية،

. السحب يكون كيفيا بناء على الخصائص النموذجية للمستجوبين أفراد خاصة، وحتى مجموعات،

[1] موريس أنجرس، المرجع السابق، ص 197

. تستقصي بعمق مقارنة بالاستمارة مثلا، وحتى الملاحظة، بالنظر لاقتصارها على موضوع محدد بعينه وبالنظر لعدد الحالات المستقصاة، فعدد المستجوبين يكون محدودا مقارنة بالاستمارة مثلا الأمر الذي يساعد على التعمق.

- الشروط:

. شروط اختيار: تختار المقابلة على أساس ملاءمتها لطبيعة موضوع البحث، فبالنظر لكونها تقنية كيفية، فإن اختيارها يكون غالبا في حالة البحث الكيفي. كما تختار كذلك بناء على خصائص أخرى لموضوع البحث بناء على مبدأ كل بحث يبني منهجيته الخاصة.

. شروط بناء: ويتعلق الأمر هنا بدليل المقابلة تحديدا، فدليل المقابلة ينبغي أن يتم بناؤه انطلاقا من فرضيات البحث ومن خلال التحليل المفهومي لمتغيرات هذه الفرضيات.

. شروط إجرائية: يتعلق الأمر هنا بتحضير الجوانب الإجرائية والعملية للمقابلة قبل، أثناء وبعد.

- الخصائص:

يمكن تحديد بعض أهم خصائصها كما يلي:

. تقنية تقصي مباشر تطبق على الأفراد والمجموعات،

. تقنية كيفية،

. غالبا أكثر مصداقية من التقنيات الأخرى خاصة بالنسبة لموضوعات محددة بعينها،

. غالبا ما تكون تقنية مركزية أكثر من كونها تقنية ثانوية خاصة في البحوث الكيفية،

. تعتمد كتقنية استكشافية في المرحلة الاستكشافية أكثر من أي تقنية أخرى،

- التناسب:

. تناسب البحوث الكيفية،

. تناسب البحوث المحددة المجال، والتي تستهدف التقصي بعمق،

. تناسب كذلك البحوث الاستكشافية، بحوث الآراء والاتجاهات والعقائد والجوانب التاريخية.

- دليل المقابلة: يتضمن مجموعة الأسئلة التي سيطرحها الباحث على المستجوبين أفرادا أو مجموعات، ويتم بناؤه انطلاقا من فرضيات البحث من خلال تحليل مفهومي لمتغيراتها.

وهي تقنية كمية بالأساس، لكنها قد تتضمن بعض الأسئلة المفتوحة ذات الطبيعة الكيفية. وهي تقنية مسحية بالأساس للأوضاع الراهنة تشمل عددا من الموضوعات ضمن الموضوع الواحد في نفس الوقت. فإذا كانت أسئلة المقابلة عمودية، فإن أسئلة الاستمارة تكون أفقية لتحقق غالبا مطالب بحوث المسح الاجتماعي.

- المفهوم:

ويعرفها كذلك موريس أنجرس على أنها:" تقنية مباشرة للتقصي العلمي تستعمل إزاء الأفراد تحديدا، وتسمح باستجوابهم بطريقة موجهة والقيام بسحب كمي بهدف إيجاد علاقات رياضية والقيام بمقارنات رقمية"[1]

- الشروط:

كغيرها من التقنيات تحكمها شروط عامة وأخرى خاصة يمكن تحديد أهمها كما يلي:

. شروط اختيار: تختار بناء على خصوصية موضوع البحث وفرضياته وأهدافه، لكن كذلك بناء على خصوصيات مجتمع البحث.

. شروط بناء: تبنى الاستمارة بأسئلة مغلقة غالبة، وبعضها مفتوحة انطلاقا من فرضيات البحث والتحليل المفهومي لمتغيراتها.

. شروط إجرائية: ويتعلق الأمر هنا خاصة بالجوانب التنفيذية، والزمنية والمكانية وعلاقة الباحث مبحوث..

[1] موريس أنجرس المرجع السابق، ص 204

- الخصائص:

. تقنية مسحية للتقصي المباشر،

. تقنية كمية،

. تتضمن أسئلة مغلقة و بعض الأسئلة المفتوحة،

. تختار غالبا وتطبق بحذر بالنظر لضعف مصداقية النتائج المتحصل عليها بواسطتها، وغالبا ما ترفق كذلك بتقنية مساعدة لضمان قدر أعلى من المصداقية وللمقارنة،

. تقنية أفقية غير متعمقة.

- التناسب:

. تناسب البحوث المسحية،

. تناسب البحوث الكمية،

. تناسب بحوث الوضع الراهن، وبحوث الأجوبة الجاهزة، المغلقة والمباشرة.

المحاضرة الواحد و العشرون: تحليل المحتوى

يعتبر تحليل المحتوى تقنية بحث أساسية في عدد مهم من العلوم، على أن توظيفه قد يختلف نوعا ما من علم لآخر. في علم الاجتماع تستعمل هذه التقنية غالبا في تحليل النصوص والكتابات الجاهزة والتعابير اللغوية، وتستعمل كذلك لتحليل محتوى إجابات أسئلة المقابلة، والأسئلة المفتوحة للاستمارة.

لقد تم تطوير هذه التقنية إلى الحد الذي أصبح معه ممكنا تحليل محتوى ليس فحسب النصوص، وإنما كذلك الصور والمنتجات السمعية البصرية بشكل عام. كما جرى تطوير برامج حاسوبية لتحليل المحتوى تتيح اختصار الجهد والوقت، ودقة تحليل أفضل في بعض الحالات. وتحليل المحتوى نوعان: كمي وكيفي كل منهما يناسب موضوع معين أو عدة مواضيع، ويمكن المزاوجة بين النوعين في البحث الواحد. وقد ينصب تحليل المحتوى على تحليل المحتوى الظاهر لوثيقة أو نص..، أو حتى غير الظاهر بالبحث في المعنى الخفي والعميق لهذه الوثائق والنصوص.

- المفهوم:

يمكن تعريف هذه التقنية كما يلي:" تقنية غير مباشرة للتقصي العلمي تطبق على المواد المكتوبة، المسموعة أو المرئية، والتي تصدر من الأفراد أو الجماعات حيث يكون المحتوى غير رقمي، ويسمح بالقيام بسحب كيفي أو كمي بهدف التفسير والفهم والمقارنة"[1]

فتحليل المحتوى إذن هو تقنية منظمة يتم تكييفها وبناؤها حسب الموضوع وطبيعة مادة التحليل بوصفها تقنية تقصي معمق غير مباشر.

[1] موريس أنجرس، الرجع السابق، ص 218

- الشروط:

هذه بعض أهم الشروط التي قد تشترك في بعضها مع التقنيات الأخرى:

. شروط اختيار: وتتعلق أساسا بمدى ملاءمتها للموضوع ابستمولوجيا ومنهجيا، وقدرتها على تحقيق أفضل النتائج كتقنية رئيسية، أو حتى عند اختيارها كتقنية مساعدة مقارنة بتقنيات أخرى. ويتم اختيارها تحديدا في حالة النصوص والمواد المنتجة المسموعة والمرئية..، ففي هذه الحالة قد تكون التقنية الوحيدة الممكنة التطبيق. إذن فهي تختار بعناية لتطابق الشروط الابستمولوجية والمنهجية التي تناسب الموضوع، فرضياته..

. شروط بناء: تبنى انطلاقا من عنصرين اثنين هما:

. فرضيات البحث والتحليل المفهومي لمتغيراتها،

. المجال، أو المواد التي يطبق عليها التحليل، فلكل منتج أو مادة ما يناسبه من بناء للتقنية، كما أن ذلك يختلف بين نوعي التحليل الكمي والكيفي.

وفي كلتي الحالتين فإن تحليل المحتوى يبنى انطلاقا من تحديد مناسب لفئات التحليل ووحدات التحليل، بما يسمح من جهة بتنظيم المادة المناسبة، وتحليلها بشكل أفضل وأسهل من جهة أخرى

- الخصائص:

. تقنية تقصي غير مباشرة،

. قد تكون كمية أو كيفية حسب الموضوع والمجال،

. يطبق على النصوص والمنتجات وليس مباشرة على المستجوبين،

. قد تكون تقنية رئيسية في حالات معينة، غالبا كذلك ما تكون تقنية مساعدة للمقابلة خاصة وللملاحظة، وحتى للاستمارة في حالة الأسئلة المفتوحة.

. تعتبر فئات التحليل ووحدات التحليل الأساس الذي تقوم عليه هذه التقنية؛ ففئات التحليل يمكن تحديدها انطلاقا من الفرضيات والتحليل المفهومي لمتغيراتها، أما وحدات التحليل فيحددها الباحث انطلاقا من خصوصية المادة التي سينصب عليها التحليل.

- التناسب:

. تناسب البحوث الكيفية،

. تناسب المناهج الكيفية وتقنياتها مثل المقابلة خاصة،

. تناسب موضوعات تبحث المواد المنتجة لغويا مكتوبة، مسموعة، مرئية وحتى مصورة.

المحاضرة الإثنان والعشرون: عرض وتبويب البيانات

بعد بناء مناسب لتقنيات البحث وأدواته، يصبح بمقدور الباحث جمع المعلومات من الميدان، من المصادر المباشرة وغير المباشرة لهذه المعلومات، وبعد جمع هذه المعلومات سينتقل إلى مرحلة تالية هي مرحلة العرض والتبويب. فماذا يعني ذلك من الناحية الإجرائية؟ يمكننا أن نتكلم عن ثلاث مراحل مهمة في هذا الشأن، وذلك كما يلي:

. تبويب المعطيات:

هنا على الباحث أن يكون أكثر حذرا في التعامل مع المعطيات التي حصل عليها، إذ عليه أن يحضرها بشكل مناسب، وأن يفرزها بشكل منظم وحذر، فيحتفظ بما هو مناسب ويقصي منها كل ما هو خارج الموضوع، غير واضح أو حتى غير مكتمل أحيانا. كما على الباحث أن يتعامل، حسب طبيعة البحث، مع نوعين من المعطيات وهما المعطيات الكمية والكيفية. فالكيفية قد تأخذ صفة إسمية كالانتماء السياسي يمين، وسط ويسار، المهنة..، أو ترتيبية مثل جيد، متوسط وضعيف. أما الكمية فتأخذ قيم رقمية مثل الوزن ومعدلات النجاح المدرسي..

وبعد أن يرتب الباحث معطياته وينظمها بشكل مناسب سيمر بعد ذلك إلى ما يلي:

. الترميز: وهنا يستعين الباحث غالبا بترميز واضح ومنطقي للأسئلة والإجابات، على أن يكون لديه دليل ترميز واضح يعود إليه عند عمله على عرض بياناته.

. التفريغ وبناء أداة التفريغ: وهي العملية التي تتيحها مرحلة التبويب وتحضير المعطيات، ويتعلق الأمر بتفريغ البيانات المحضرة والمبوبة باستغلال أداة التفريغ المتاحة على شكل أساليب تقليدية، أو برامج حاسوبية. وهي الأداة التي يوظفها الباحث لتفريغ المعطيات التي تم ترميزها بعد تبويبها، قد تكون يدوية مثل ورقة التفريغ، وقد تكون حاسوبية مثل /spss excel..

. عرض البيانات:

هناك عدة أدوات وأساليب مناسبة لذلك، مثل الجداول والرسوم البيانية:

. الرسوم البيانية: من دوائر نسبية، ومنحنيات بيانية..

. الجداول الإحصائية:

. الجداول التكرارية البسيطة، أو الجداول الوصفية ذات المتغير الواحد: وتتمثل مهمتها في عرض وصفي وتوزيعي على أساس التكرارات والنسب المئوية.

. الجداول المركبة تركيبا ثنائيا: وهي جداول ذات متغيرين اثنين أحدهما مستقل والأخر تابع، ويظهر تقاطعات سببية بين المتغيرين، أي نتائج التأثير والتأثر.

. الجداول المتعددة المتغيرات: وتتضمن أكثر من متغيرين، قد يسمى أحدها بالمتغير الرائز، أو الاختباري الذي يقيس مصداقية بيانات العلاقة بين المتغيرين المستقل والتابع في نفس الجدول.

ملاحظة: يتم التطرق لهذا بعملية في الأعمال الموجهة

1. التحليل الكيفي:

وهنا يحلل الباحث بياناته انطلاقا من تقنية تحليل المحتوى، هذه الأخيرة على نوعين تحليل محتوى كيفي وتحليل محتوى كمي. ويعول الباحث في الأولى على استنباط عناصر تحليله انطلاقا من فهمه وتأويله للنتائج المحصل عليها، وهذا قد تشوبه بعض التفاوتات وصعوبات الوضوح، الدقة والتعميم غالبا، بينما تميل الطريقة الكمية في تحليل المحتوى إلى محاولة إبراز قدر مناسب من الدقة، التحكم والوضوح للبيانات، فيحاول تكميم بعض المعطيات الممكن تكميمها في هذا الاتجاه، فيتم استخدام جداول عد مناسبة تبنى انطلاقا من فئات تحليل بما يتلاءم وفرضيات البحث، وبوحدات تحليل مناسبة.

2. التحليل الكمي:

يتيح التكميم فرصا أفضل لتحليل أكثر مصداقية من التحليل الكيفي في المواضيع الممكنة التكميم أو ذات الطبيعة الكمية، ذلك أنه يتيح إجراء المقارنات الممكنة بما داخل الجداول وحتى بما هو خارجها، كما يتيح تطبيق أساليب إحصائية دقيقة في ذلك مثل تطبيق مقاييس النزعة المركزية والتشتت، ومعاملات الارتباط..، وهذا ما يضفي أكثر دقة على النتائج فيما بعد ويسمح بقدر أعلى من إمكانية التعميم. إلا أن ذلك مرتبط من جهة بطبيعة البيانات والمعطيات المحصلة وصلتها الحقيقية بالواقع، ومن جهة أخرى من حيث جهد الباحث وتحكمه، ومصداقية أدواته وعمله في جمعها خاصة، وفي تبويبها وعرضها بشكل مناسب.

كيف نقرأ سوسيولوجيا جدولا إحصائيا؟

تختلف قراءة الجدول البسيط عن الجدول المركب إلى حد ما لكن ينبغي في كل الحالات أن يراعي الباحث تحقيق الشروط التالية بعد أن يكون قد بنى جداوله كما ينبغي وقام بعرض مناسب لبياناتها:

. ربط التحليل بفرضيات الدراسة،

. ربط التحليل بالمقاربة النظرية المعتمدة،

. تبدأ القراءة في اتجاه التابع، لكن التنسيب يتم عكس ذلك في اتجاه المستقل،

. أن تتوفر كل عناصر القراءة السوسيولوجية للجدول، وبشكل مرتب، كما يلي:

• القراءة الإحصائية: وتتضمن عرض الاتجاه السائد في اتجاه المتغير التابع، مع عرض ما يميزه بالنسبة لتقاطعات متغيري الجدول من خلال النسبة الأعلى كذلك. ثم يقابله في ذلك بالنسبة الأقل في اتجاه المتغير التابع ومنه من خلال تقاطعات تميز ذلك داخل الجدول. (قد أخذنا أمثلة تطبيقية في ذلك في الدروس الحضورية، ومن أراد توسعا أو تذكرا يمكننا القيام بذلك مجددا ببرنامج تفاعلي عن بعد google meet ، أو حتى من خلال منصة الجامعة أومنصة الكلاس رووم، أو مجموعة التليغرام، أو كلها معا: أظهروا فقط اهتمامكم وطلباتكم وأسئلتكم).

• الدلالة السوسيولوجة: وهنا يتم بحث دلالة أرقام الجداول، بالتقيد في ذلك بفرضيات البحث وبالمقاربة النظرية. هذا يعني أننا نستنطق تلك الأرقام ونعطيها معنى في اتجاه اختبار فرضياتنا، وللوصول إلى استنتاجات قابلة للتعميم.

• استنتاج الجدول: بعد أن ينتهي الباحث من القراءتين السابقتين بالترتيب، عليه أن يصوغ استنتاجا جزئيا خاصة بجدوله، يبرز فيه طبيعة العلاقة فيما بين متغيري بحثه، آخذا في الحسبان أن هذا الاستنتاج هو استنتاج جزئي يمهد لتركيب استنتاجات الأبعاد التحليلية لمتغيرات فرضياته، ومن ثم استنتاج الفرضية ككل. على أننا سنركب كذلك استنتاجنا العام من استنتاجات فرضياتنا.

المحاضرة الرابعة والعشرون: قواعد التوثيق والاقتباس

يعتبر البحث الوثائقي أحد أهم أنواع البحوث خاصة بالنسبة لحقول معرفية معينة، إذ لا يمكن التطرق للموضوع بالدراسة دون استعراض تراثه المكتوب والنظري، وهذا يحقق معا ما يلي:

. تنمية المعرفة العلمية بمواصلة الإنتاج على ما تم انتاجه سابقا.

. الالتزام بمبدأ التراكم العلمي، إذ لا يمكن ان نعيد دراسة موضوعات بنفس الإشكاليات والمنهج دون أي تجديد أو إضافة ممكنة.

. تعتبر الكتب والمقالات..، وكل مكتوب، خاصة المتخصص منه، بنك معلومات مهم للباحث يستعين به في توجيه بحثه ومواصلة تنمية المعرفة...

يتم إذن لعدة اعتبارات، ليس ما ذكر فقط، تنمية البحث الوثائقي والاستعانة به، لكن هذا النوع من البحث يفرض مجموعة متنوعة من الشروط التي على جميع الباحثين الالتزام بها بصرامة. فعندما نتحدث عن البحث الوثائقي معنى ذلك سنتحدث عن:

. القراءة وتقنياتها والتحرير وتقنياته،

. الاقتباس وتقنياته

. الإحالة وتقنياتها.

لكن نتحدث كذلك عن الأمانة العلمية وعن البلاجيا.

فكيف نقرأ؟ وكيف نستفيد من قراءاتنا؟ وكيف نقتبس بشكل مناسب؟ وكيف نحيل إلى صاحب الاقتباس؟ و ما معنى بلاجيا؟

1. كيف نقرأ؟

لا شك أن بعض الباحثين المبتدئين، عندما يجرون بحثا لأول مرة في مسارهم، يتعرضون للكثير من الارتباك والتسرع والأخطاء التي يحتاجون معها إلى إعادة ضبط طريقة عملهم بشكل منهجي مناسب. لذا ينبغي القيام بما يلي:

. جمع الوثائق والمراجع الضرورية للبحث.

. تنظيم وتصنيف هذه المراجع و الوثائق..، بشكل مناسب.

. تقسيم النص، أو المادة المراد قراءتها، أو الكتاب..، بشكل مناسب ومعقول حسب خطة البحث والمطلوب قراءته، لكن كذلك حسب تقسيم النص المقروء. هنا لا يوجد دليل دقيق يصلح للجميع، وإنما على الباحث أن يتعامل بذكاء مع عمله هذا، وأن يعوّل في ذلك على الاستشارات ما أمكن.

. القراءة العلمية الإشكالية لمادة بحثه، أي انطلاقا من إشكالية بحثه ولفائدتها.

يشير موريس انجرس، في كتابه المذكور سالفا، بشكل مفصل إلى موضوع القراءات وما يرتبط به من جمع واستفادة.. [1]

2. كيف نستفيد من قراءاتنا؟

قراءة جيدة لن تكون مفيدة إذا لم يتمكن الباحث من تحديد الطريقة الفضلى للاستفادة مما قرأ. يعتبر التلخيص الذكي للقراءات مهما جدا في هذا، ويمكن القول أن ذلك يتحدد أساسا بعنصرين مهمين:

[1] انظر:
موريس أنجرس، المرجع السابق، ص131-141

. التلخيص التحليلي التركيبي: فالباحث يفكك نصه ليقرأه ويلخصه عنصرا بعنصر، لكنه يستهدف بعد اكمال قراءاته جمع ما قرأ بما يسمح له بتركيب صورة كاملة من المعلومات من خلال أفكار وملخصات محددة. وفي تحليله وتحرير مذكرته أو رسالته..، يستعين بذلك بشكل تركيبي.

. بطاقات القراءة مهمة جدا لتسهيل تسجيل الملخصات، ولتنظيم الملخصات والتحرير انطلاقا منها.

3.كيف نقتبس؟

الاقتباس، عكس البلاجيا، أمر مطلوب منهجيا، ويكون:

. اقتباس كامل ونعني به الاقتباس الحرفي لنص أو جدول معلومات..، ويتضمن مواصفات قد تختلف شكليا.

مثال اقتباس كامل النص بهذا الشكل:"....النص..."

. اقتباس معنى، والتصرف في النص..، هنا لا يغلق الباحث على النص بشولتين، يكفيه فقط أن يقتبس بشكل مناسب المعنى فقط والمعلومة ويتصرف فيها لغة وشرحا..، ثم يحيل بشكل مناسب.

4.كيف نحيل؟ (الإحالة)

اذا كان هناك اقتباس يعني أن هناك إحالة حتما، وهذا لتفادي البلاجيا بقصد أو بدون قصد، وتتضمن إحالة المعلومات الأساسية على شكل: 2+5 أي إسم المؤلف كاملا زائد عنوان المرجع، وخمسة معلومات المهمة المتبقية المتمثلة في الطبعة إن وجدت، دار النشر، مكان النشر، سنة النشر، الصفحة. هناك بعض المراجع التي تتضمن معلومات إضافية

كالترجمة وعبارة مزيدة ومنقحة..، فهذه إن وجدت تضاف، وإلا اكتفى الباحث في إحالته بمعلومات المعادلة المذكورة.

مثال متعدد الاحتمالات:

موريس أنجرس، منهجية البحث العلمي في العلوم الإنسانية: تدريبات عملية، ط2، منقحة، تر: بوزيد صحراوي وكمال بوشرف وسعيد سبعون، إشراف ومراجعة: مصطفى ماضي، دار القصبة، الجزائر،2006، ص..

في حالة تكرار المرجع في نفس الصفحة، وبعد إحالته التي قبله مباشرة نكتب: المرجع نفسه أو عبارة نفس المرجع، ونضع الصفحة بعد ذلك ،كما يلي:

1.المرجع نفسه، ص

اذا تكرر لكن في صفحة أخرى نكتب:

1.موريس أنجرس، ص..

هذا ما لم يستعمل البحث أكثر من مرجع لمؤلف واحد ففي هذه الحالة عليه أن يضيف العنوان إلى الاسم و يكتب صفحته.

هناك إحالات للمقال مثلا، للوثائق والتقارير..، يتم فيها مراعاة تقنية إحالتها بشكل مختلف في بعض عناصرها عن الكتاب.

5.ما معنى بلاجيا؟

باللغة العربية يعني انتحال أعمال الآخرين ونسبها للذات، وهذا مخالف لمبدأ الأمانة العلمية وللتشريعات. قد تكون البلاجيا مقصودة كسرقة عمل آخرين ونسبه قصدا للذات، أو غير مقصودة وهنا يكون ذلك إما تهاونا، أو بسبب عدم معرفة تقنيات الاقتباس المناسبة.

ملاحظة: سيتم التطرق لهذا بالتفصيل وعمليا في التطبيق لأن طبيعة الموضوع تطبيقي، بما في ذلك الإحالات بالنسبة لمراجع بلغات أجنبية.

قائمة المراجع

. موريس أنجرس، منهجية البحث العلمي في العلوم الإنسانية: تدريبات عملية، تر: بوزيد صحراوي وآخرون، دار القصبة، الجزائر، 2006

. ريمون كيفي وفان لوك كمبنهود، دليل الباحث في العلوم الاجتماعية، مترجم ورقي وإلكتروني

. أحمد بدر، أصول البحث العلمي ومناهجه،

. سعيد سبعون، الدليل المنهجي في إعداد البحوث والرسائل الجامعية في علم الاجتماع، دار القصبة، 2012، الجزائر

GAUTHIER Benoit S.D, **Recherche sociale :** de la problématique a la collecte des données**,** presse de l'université Québec, Québec, 1984

. François Dépelteau, **la démarche d'une démarche en sciences humaines :** de la question de départ a la communication des données, De Boeck, presse de l'université Laval, Québec, 2003

مقدمة

المحور الأول: أسس اختيار موضوع بحث 4

المحاضرة الأولى: الهيكل العام للبحث 3

المحاضرة الثانية: سؤال الانطلاق.....15

المحاضرة الثالثة: الاستكشاف 19

المحاضرة الرابعة: الإشكالية.....22

المحاضرة الخامسة: الفرضيات والمفاهيم.....28

المحاضرة السادسة: المفاهيم والمتغيرات 33

المحور الثاني: المناهج الكمية والكيفية في علم الاجتماع.....40

المحاضرة السابعة: المناهج الكمية والكيفية في علم الاجتماع: 40

المحاضرة الثامنة: المنهج الكيفي.....45

المحاضرة التاسعة: المنهج الكمي 47

المحور الثالث: أهم المناهج المطبقة في علم اجتماع ت.ع 50

المحاضرة العاشرة: المنهج التجريبي 56

المحاضرة الحادية عشر: منهج المسح الاجتماعي.....59

المحاضرة الثانية عشر: منهج دراسة الحالة.....61

المحاضرة الثالثة عشر: المنهج المقارن ..... .Erreur ! Signet non défini

المحاضرة الرابعة عشر: الإحصاء في علم الاجتماع.Erreur ! Signet non défini

المحاضرة الخامسة عشر: أنواع العينة وكيفية اختيارها.....86

المحاضرة السادسة عشر: تقنيات البحث: بين الكم والكيف.....119
المحور الرابع: أهم تقنيات البحث.....122
المحاضرة السابعة عشر: الملاحظة: 123
المحاضرة الثامنة عشر: المقابلة 126
المحاضرة التاسعة عشر: الاستمارة.....129
المحاضرة العشرون: تحليل المحتوى 131
المحاضرة والواحد والعشرون: عرض وتبويب البيانات 134
المحاضرة الثانية والعشرون: التحليل الكمي والكيفي.....136
المحاضرة الثالثة والعشرون: قواعد التوثيق والاقتباس.....138
قائمة المصادر والمراجع 143